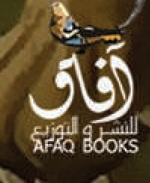
إدجار رايس بوروز

ثوفيا فتاة المريخ

رواية



ترجمة: شهرت العالم


mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

آفاق


mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab


mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

إدجار رايس بوروز

ثوفيا... فتاة المريخ

رواية

ترجمة
شهرت العالم

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

بوروز، إدجار رايس.

إدجار رايس بوروز : ثوفيا... فتاة المريخ

ترجمة: شهرت العالم

ط1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2019

208 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 22563 / 2018

الترقيم الدولي 9 - 204 - 765 - 977 - 978

1 - الأدباء (روايات)

2 - بوروز، إدجار رايس

الفصل (١)

كارثوريس وثوفيا

جلست امرأة على مقعد طويل ضخم ومصقول، أسفل شجرة بيماليا[١] عملاقة مزهرة. كانت قدمها الرشيقة تدق في صندلها بفارغ الصبر على الممشى الذي تتناثر فوقه الجواهر تحت أشجار السورابوس[٢] الفخمة، عبر المرجة القرمزية في الحدائق الملكية لثوفان ديهن، جيداك[٣] بتارث[٤]. وكان يميل نحوها محارب أسود الشَّعر وأحمر البشرة، يهمس بكلمات حميمة بالقرب من أُذنها.

«آه، ثوفيا من بتارث»، قال المحارب: «أنت باردة حتى أمام حبي الناري المتفجر! ما من شيء أقسى من قلبك! إنه أبرد حتى من هذا

---

(١) شجرة بيماليا: شجرة مزهرة كبيرة في حدائق المريخ - http://barsoom.wikia.com/wiki/Pimalia - المترجمة.

(٢) سورابوس: نوع من الشجر معروف في المريخ بثماره النضرة المحفوظة داخل ما يشبه قشرة الجوز - http://barsoom.wikia.com/wiki/Sorapus - المترجمة.

(٣) جيداك: لقب يعادل الإمبراطور - http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=Jeddak - المترجمة.

(٤) بتارث: إحدى الممالك المريخية، يعيش فيها المريخيون ذوي البشرة الحمراء- http://barsoom.wikia.com/wiki/Ptarth - المترجمة.

المقعد الذي يضم جسدك الجميل النضر! قولي لي، يا ثوفيا البتارثية، إن أملي لا يزال ممكنًا، وإنك على الرغم من عدم شعورك بالحب نحوي الآن، يمكن في يوم ما، في يوم ما، يا أميرتي، أنا...».

وقفت الفتاة متعجبة من المفاجأة ومستاءة. كان رأسها الملكي يرتفع بغطرسة فوق كتفيها الأحمرين الناعمين. توجهت عيناها السوداوان بغضب نحو عيني الرجل.

وقالت: «أنسيت نفسك، ونسيت عادات وتقاليد برسوم[٥]، يا أستوك؟! لم أمنحك حق مخاطبة ابنة ثوفان ديهن هكذا، ولم تفز أنت بهذا الحق».

تحرك الرجل نحوها فجأةً، وأمسكها من ذراعها.

وقال: «سوف تكونين أميرتي! باسم الإلهة إيسوس[٦]، ستكونين أميرتي، ولن يقف أي شخص آخر بين أستوك أمير دوسار[٧] ورغبة قلبه. قولي لي إن هناك شخصًا آخر، وسوف أمزق قلبه الكريه وأقذف به إلى الكالوت[٨] المتوحشة في قيعان البحر الميت!».

---

(٥) برسوم: كوكب يسميه أهل كوكب الأرض بالمريخ- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Barsoom*- المترجمة.

(٦) إيسوس: امرأة عجوز من المريخيين ذوي البشرة السوداء، زعمت أنها إلهة الحياة الأبدية، لكن حقيقتها تكشفت- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Issus*- المترجمة

(٧) دوسار: إحدى الممالك المريخية، يسكنها مريخيون حُمر، وتاريخها يمتلئ بالنزاعات مع المملكتين المجاورتين: هيليوم وبتارث- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Dusar*- المترجمة.

(٨) الكالوت: الكلب المريخي، وهو بحجم المُهر ولديه عشرة أرجل، ويضم فكاه ثلاثة صفوف من الأنياب الطويلة الحادة- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Calot*- المترجمة.

شحبت الفتاة ببشرتها النحاسية عندما لمست يد الرجل جسدها؛ فشخصيات النساء الملكية في بلاط المريخ يُنظر إليهن بنظرة تقل قليلًا عن التقديس. وبالتالي ما فعله أستوك، أمير دوسار، يُعد تدنيسًا. لم يكن الرعب باديًا في عيني ثوفيا البتارثية، بل مجرد الخوف الشديد مما فعله الرجل وعواقبه المحتملة.

«اتركني»، كان صوتها رزينًا، شديد البرودة.

تمتم الرجل بكلمات غير مترابطة، وجذبها بقسوة نحوه.

«اتركني!»، كررت بحدة: «أو سأنادي على الحرس، وأمير دوسار يعرف ماذا سيعني هذا».

ألقى ذراعه اليمنى بسرعة حول كتفيها، وحاول جاهدًا جذب وجهها إلى شفتيه. صرخت وهي توجه إليه ضربة في فمه بالأساور الضخمة التي ترتديها في ذراعها الأخرى.

صاحت: «كالوت! يا حراس! يا حراس! أسرعوا لحماية أميرة بتارث!».

واستجابةً لصيحتها، توافد عشرات من الحراس مسرعين عبر المرجة القرمزية، وسيوفهم الطويلة المرفوعة تلمع في الشمس، ومعادن تجهيزاتهم تصلصل في عتادها الجلدي، وصيحاتهم غاضبة من المشهد الذي رأته أعينهم.

لكنهم قبل أن يجتازوا نصف الحديقة الملكية، حيث لا يزال أستوك ممسكًا بالفتاة في قبضته وهي تقاومه، انطلق شخص آخر من بين

مجموعة أوراق الشجر الكثيفة التي تخفي وراءها نصف نافورة ذهبية قريبة. كان شابًّا طويل القامة، شعره أسود وعيناه رماديتان متقدتان، أكتافه عريضة ووركاه نحيلان- مقاتل رشيق، معتدل البنية. كانت بشرته مشوبة باللون النحاسي الذي يميز المريخيين الحُمر عن الأعراق الأخرى في الكوكب الآخذ في الاحتضار. كان مثلهم، وإن اختلف بشكل طفيف عنهم أكثر من مجرد البشرة الأفتح والأعين الرمادية.

اختلفت حركته أيضًا؛ فقد جاء بقفزات كبيرة حملته بسرعة على الأرض، بحيث كانت سرعة الحراس لا شيء بالمقارنة به.

كان أستوك لا يزال ممسكًا بمعصم ثوفيا عندما واجهه المحارب الشباب. لم يُضِع الوافد الجديد الوقت، ولم يقل سوى كلمة واحدة.

«كالوت!»، قالها بعنف وهو يسدد قبضةً استقرت أسفل ذقن الطرف الآخر، ثم رفعه عاليًا في الهواء وألقاه كومة منهارة في وسط أشجار البيماليا بجوار المقعد الطويل.

التفت البطل نحو الفتاة، قائلًا: «كاور،[٩] ثوفيا البتارثية! يبدو أن القدر اختار توقيت زيارتي جيدًا».

«كاور، كارثوريس من هيليوم!»، ردت الأميرة على تحية الشاب، وواصلت: «وهل يمكن أن يتوقع المرء أقل من ذلك من ابن سيد محترم؟».

---

(٩) كاور: كلمة التحية بلغة أهل المريخ- http://barsoom.wikia.com/wiki/Martian_Language- المترجمة.

انحنى الشاب تحية لمجاملتها لوالده، جون كارتر، أمير الحرب في المريخ. وصل الحراس يلهثون لأداء مهمتهم. كان فم أمير دوسار ينزف، وتمكن الأمير أن يزحف خارجًا من تشابك أوراق أشجار البيماليا مستخدمًا سيفه.

كاد أستوك أن يشتبك في قتال مميت مع ابن ديجاه ثوريس[١٠]، لكن الحراس تجمعوا حوله ومنعوه، على الرغم من أن لا شيء أكثر من هذا القتال كان سيسعد كارثوريس.

قال كارثوريس راجيًا: «قولي كلمتك يا ثوفيا، فلن يسعدني شيء أكثر من إنزال العقاب الذي يستحقه هذا الرجل».

فأجابت: «لا يمكن يا كارثوريس. فعلى الرغم من أنه فقد حقه في مطالبتي بمراعاته، فقد جاء هنا بدعوة من الجيداك والدي، وهو الذي يحق له وحده النظر في هذا الفِعل الذي لا يُغتفر الذي ارتكبه».

قال كارثوريس: «كما تريدين يا ثوفيا. لكن كارثوريس أمير هيليوم، سوف يحاسبه بعد ذلك على هذه الإهانة التي وجهها إلى ابنة صديق والدي». لمعت عيناه، خلال الحديث، ببريق ينمُّ عن سبب آخر عزيز لبطولته أمام ابنة برسوم الرائعة.

امتقع لون خديها أسفل بشرتها الحريرية الشفافة، كما امتقعت أيضًا عينا أستوك أمير دوسار؛ إذ قرأ الرسالة الصامتة التي مرت بينهما في حدائق الجيداك الملكية.

---

(١٠) ديجاه ثوريس: أميرة مملكة هيليوم، وهي زوجة جون كارتر (القادم من كوكب الأرض)، وأنجبت منه كارثوريس - *http://barsoom.wikia.com/wiki/Dejah_Thoris* - المترجمة.

وقال بعنف، ردًا على تحدي كارثوريس: «وأنت لي».

لا يزال أستوك محاطًا بالحراس. إنه موقف صعب للضابط الشاب الذي أمر بذلك؛ فالأسير ابن جيداك قوي، كما كان ضيفًا على ثوفان ديهن- ضيف شرف، يغدقون عليه بكل مهابة ملكية. لا يعني إلقاء القبض عليه عنوة سوى الحرب، لكن المحارب البتارثي يرى أنه يستحق الموت لفعلته.

تردد المحارب الشاب، ونظر نحو أميرته التي كانت تفكر أيضًا في ما يمكن أن يترتب على ما سيقومون به في اللحظة التالية. لقد استمر السلام بين مملكتي دوسار وبتارث لسنوات عديدة. وكانت سفنهما التجارية الكبيرة تسافر ذهابًا وإيابًا بين المدن الكبرى في البلدين. والآن حتى، بمقدور الأميرة أن ترى، بعيدًا أعلى القبة القرمزية المذهبة لقصر الجيداك، سفينة شحن فضائية عملاقة تتخذ طريقها المهيب عبر فضاء برسوم الرقيق متجهة نحو الغرب ونحو دوسار.

كان يمكنها بكلمة واحدة أن تُغرِق هاتين المملكتين القويتين في صراع دموي يستنزف أشجع الدماء، فضلًا عن ثروات لا تُحصى، وتتركهما عاجزتين أمام غارات الأمم المجاورة الأقل قوةً، وتتركهما في النهاية فريسة لجحافل الخُضر الوحشية من قيعان البحر الميت.

لم يكن الشعور بالخوف يؤثر على قرارها؛ فنادرًا ما يعرف أطفال المريخ الخوف. لكن شعورها بالمسؤولية كابنة الجيداك، ورفاهية شعب والدها، هو ما كان يؤثر على قرارها.

قالت للمُلازم الذي قاد الحرس: «لقد دعوتك يا بادوار[11] لحماية شخص أميرتك، والحفاظ على السلام الذي يجب ألا يُنتَهَك داخل حدائق الجيداك الملكية. وهذا كل شيء. والآن، سترافقني إلى القصر، وبصحبتنا أمير هيليوم».

استدارت الأميرة دون أن تلقي أي نظرة أخرى نحو أستوك، وأمسكت بيد كارثوريس الممدودة لها، وتحركا ببطء نحو الصرح الرخامي الهائل الذي يضم مسكن حاكم بتارث وبلاطه المتألق، وسار على كل جانب طابور من الحرس. وهكذا وجدت ثوفيا طريقة للخروج من مأزق، متجنبة ضرورة وضع الضيف الملكي لوالدها تحت القيد قسرًا، وفي الوقت نفسه فصلت بين اثنين من الأمراء اللذين كانا يمكن أن يشتبكا في معركة عند مغادرتها مع الحرس.

وقف أستوك بجوار شجر البيماليا، ضاقت عيناه القاتمتان إلى مجرد شقين من الكراهية تحت حواجبه المنخفضة وهو يشاهد مسيرة المرأة التي أثارت أعنف مشاعره الطبيعية، والرجل الذي يعتقد أنه وقف بينه وبين حبه لثوفيا.

وعندما اختفيا داخل الصرح الضخم، هز أستوك كتفيه استهجانًا وسار عبر الحدائق وهو يقسم متذمرًا، واتجه نحو جناح آخر من المبنى حيث يسكن هو وحاشيته.

وفي تلك الليلة، طلب رسميًا من ثوفان ديهن أن يسمح له بالمغادرة.

---

(١١) بادوار: رتبة مريخية تُعادل رتبة مُلازم- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Padwar*- المترجمة.

وعلى الرغم من عدم الإشارة إلى ما حدث في الحديقة، فقد كان واضحًا من خلال قناع المجاملة البارد الذي أبداه الجيداك أن عادات وتقاليد الضيافة الملكية هي فقط ما منعته من الإعراب عن شعوره بالازدراء تجاه أمير دوسار.

لم يحضر كارثوريس، كما لم تحضر ثوفيا، مراسم المغادرة. كانت المراسم صارمة ورسمية كما تتطلبها آداب البلاط. وعندما صعد آخر دوساري إلى سفينة الفضاء الحربية التي أتت بهم إلى هذه الزيارة المشؤومة لبلاط بتارث، وأخذت السفينة ترتفع ببطء من موقعها، بدت علامات الارتياح واضحة في صوت ثوفان ديهن وهو يتحدث إلى أحد ضباطه تعليقًا على موضوع يختلف عن ذلك الذي احتل موقع الصدارة في أذهان الجميع لساعات.

ولكن، في النهاية، هل كان مختلفًا تمامًا؟

وأصدر أوامره: «عليك إبلاغ الأمير سوفان أنها رغبتنا أن يستدعي الأسطول الذي غادر صباح اليوم متجهًا إلى كاول، كي يبحر إلى غرب بتارث».

عندما دارت السفينة الحربية التي تعود بأستوك إلى بلاط والده نحو الغرب، كانت ثوفيا تجلس على نفس المقعد الطويل الذي شهد إهانتها من أمير دوسار، واتجه بصرها نحو الأضواء المتلألئة للسفينة وهي تتضاءل مع ابتعادها. جلس بجوارها كارثوريس، في ظل ضوء القمر القريب الباهر. لم تتعلق عيناه بضوء السفينة الحربية الآخذ في الخفوت، بل بوجه الفتاة المنقلب.

قال هامسًا: «ثوفيا».

تحولت عينا الفتاة صوبه. تحركت يده لتجد يدها، لكنها سحبت يدها بلطف.

واصل المحارب الشاب حديثه: «ثوفيا، أحبكِ! قولي لي إن كلامي لا يُسيء إليكِ».

هزت رأسها بحزن، وقالت ببساطة: «إن حب كارثوريس ليس سوى شرف لأي امرأة؛ لكنك يا صديقي يجب ألا تمنحني ما لا أقدر على مبادلته بالمثل».

أخذ الشاب ينهض ببطء على قدميه، واتسعت عيناه في ذهول. فلم يخطر أبدًا على ذهن أمير هيليوم أن ثوفيا البتارثية وقعت في حب شخص آخر.

«ولكن في كادابرا!»، قال صائحًا: «ثم هنا في بلاط والدكِ، ماذا فعلتِ يا ثوفيا للفت نظري؟ إنكِ لا تبادلينني الحب!».

فأجابت: «وما الذي فعلته يا كارثوريس كي يقودك إلى الاعتقاد بأنني أبادلك الحب؟»

صمت يفكر، ثم هز رأسه قائلًا: «لا شيء يا ثوفيا، هذا صحيح؛ ومع ذلك، أكاد أن أقسم أنكِ تحبينني. وتعرفين بالطبع أن حبي لكِ يكاد أن يقترب من العبادة».

سألته ببراءة: «وكيف لي أن أعرف يا كارثوريس؟ هل أخبرتني من قبل؟ هل خرجت من بين شفتيك سابقًا كلمات تعبر عن حبك لي؟».

صاح: «لكنكِ كان يجب أن تعرفي ذلك! أنا مثل والدي -أحمق في مسائل القلب، ولا أعرف كيف أتصرف مع النساء؛ لكن الجواهر التي تتناثر عبر مسارات الحديقة الملكية، والأشجار، والأزهار، والمرجة- قد قرأت بالتأكيد الحب الذي ملأ قلبي منذ اللحظة الأولى التي رأيتكِ فيها، ووقعت عيناي على وجهكِ وقوامكِ الجميلين؛ فكيف أنتِ وحدكِ لم تشهدي ذلك؟».

سألته ثوفيا: «وهل فتيات هيليوم يحاولن لفت انتباه الرجال؟».

صاح كارثوريس: «أنت تلاعبينني! قولي إنكِ تلاعبينني، وإنكِ تحبينني يا ثوفيا!».

«لا يمكنني أن أقول لك هذا يا كارثوريس؛ لأنني أعطيت وعدًا لشخص آخر».

كانت نبرة صوتها رزينة. ولكن، ألم يكن فيها مسحة حزن عميق لا نهائي؟ مَن يمكنه أن يعرف؟

«وعد لشخص آخر؟»، بالكاد ما صدرت تلك الكلمات من كارثوريس. شحب وجهه متحولًا إلى اللون الأبيض، ورفع رأسه والدماء تتدفق إلى أوردة سيد العالم.

وقال: «كارثوريس من هيليوم يتمنى لكِ كل السعادة مع الرجل الذي اخترتِه، مع ...»، ثم تردد في انتظار أن تضع هي الاسم.

أجابت: «كولان تيث، جيداك كاول[١٢]. إنه صديق والدي، وأشد حلفاء بتارث».

نظر الشاب إليها باهتمام للحظة، قبل أن يتحدث مرة أخرى.

ثم سألها: «هل تحبينه يا ثوفيا؟».

أجابت ببساطة: «أنا وعدته».

لم يضغط عليها. فكر كارثوريس: «إنه واحد من أنبل دماء برسوم وأقوى مقاتليها»؛ ثم تمتم بفظاظة: «إنه صديق والدي وصديقي- ليته كان شخصًا آخر!». كان القناع الذي يغطي تعبير الفتاة يخفي ما تفكر فيه، على أن مسحة حزن بدت عليها؛ ربما تجاه كارثوريس، أو نفسها، أو كليهما.

لاحظ كارثوريس حزنها، لكنه لم يسألها عنه؛ فقد كان ولاؤه لكولان تيث بمثابة ولاء دماء جون كارتر من فرجينيا لصديق، وهو أكبر من أي شيء.

رفع قطعة مرصعة بالجواهر من غطاء الفتاة المزخرف إلى شفتيه.

وقال: «على شرف وسعادة كولان تيث والجوهرة الثمينة التي مُنحت له». وعلى الرغم من بحة في صوته، فقد بدت فيه رنة صدق حقيقية. «قلت لكِ يا ثوفيا، إنني أحببتكِ قبل أن أعرف بوعدكِ لشخص آخر. ولن أكرر ما قلته لكِ ثانية، لكنني سعيد أنكِ تعرفين ذلك؛ فهو ليس

---

(١٢) كاول: مملكة قوية، وإن كانت صغيرة، في نصف الكرة الشرقي للمريخ، وتضم مريخيين من ذوي البشرة الحمراء- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Kaol*- المترجمة.

عارًا سواء بالنسبة لكِ أو لكولان تيث أو لنفسي. حبي لكِ يشمل كولان تيث أيضًا- إذا كنتِ تحبينه». احتوت عبارته على تساؤل تقريبًا.

فأجابت: «أنا موعدة له».

ابتعد كارثوريس ببطء، وهو يضع إحدى يديه على قلبه، ويده الأخرى على مقبض سيفه الطويل.

وقال: «هما لك، دائمًا». وسرعان ما دخل القصر وغاب عن نظر الفتاة.

لو عاد مرة أخرى، لكان وجدها تميل على المقعد الطويل ووجهها مدفون في ذراعيها. هل كانت تبكي؟ لم يكن هناك ما يمكن رؤيته.

جاء كارثوريس في ذلك اليوم، دون إعلان مسبق، إلى بلاط صديق والده. جاء بمفرده في طائرة صغيرة، موقنًا أنه سيلقى نفس الترحيب الذي ينتظره دائمًا في بتارث. لذا، ونظرًا لعدم وجود استقبال رسمي عند حضوره، لم تكن هناك حاجة لوداع رسمي عند ذهابه.

وقد أوضح لثوفان ديهن أنه كان يجري اختبارًا لاختراعه الذي زوّد به طائرته؛ وهو عبارة عن تحسين ذكي للبوصلة الجوية المريخية العادية، بحيث تظل ثابتة دائمًا عند توجيهها لوجهة معينة، بما يجعل من الضروري فقط إبقاء مقدمة السفينة الفضائية دائمًا في اتجاه إبرة البوصلة للوصول إلى أي نقطة مُعطاة في برسوم بأقصر طريق.

كان هذا التحسين الذي أدخله كارثوريس يتكون من جهاز مُساعِد يقود السفينة ميكانيكيًا في اتجاه البوصلة، ويوقف السفينة بمجرد

وصولها إلى الوجهة المحددة لها، ثم يهبط بها على الأرض أوتوماتيكيًا أيضًا.

«يمكنك بسهولة تِبيان مزايا هذا الاختراع»، هذا ما قاله لثوفان ديهن الذي رافقه إلى منصة الهبوط على سطح القصر، ليتفقد البوصلة ويودع صديقه الشاب.

تجمع عشرات من ضباط البلاط وعدد من الوصفاء خلف الجيداك وضيفه، يستمعون بلهفة إلى المحادثة. وكان أحد الوصفاء أكثر تلهفًا إلى حد توبيخ أحد النبلاء له مرتين لوقاحته في دفع نفسه ليسبق رفاقه في رؤية الآلية الـمُعقدة للشيء الرائع الذي يُسمى «بوصلة التحكم في الوجهة».

«وعلى سبيل المثال»، واصل كارثوريس: «تمتد رحلتي هذه طوال الليل. وضعت المؤشر هنا، على الجانب الأيمن من القرص الذي يمثل نصف الكرة الشرقي لبرسوم، بحيث يستقر المؤشر عند خط الطول والعرض الدقيق لهيليوم. أقوم بعد ذلك بتشغيل المحرك، ثم أتدثر في حرير وفراء النوم، ومع اشتعال الأضواء، تسرع السفينة في الجو نحو هيليوم، وأنا واثق أنني في الساعة المحددة سأهبط بلطف على منصة الهبوط في قصري، سواء كنت لا أزال نائمًا أو استيقظت».

قال ثوفان ديهن: «هذا بشرط عدم التصادم مع بعض الجوالين الليليين الآخرين، في الوقت نفسه".

أجاب كارثوريس مبتسمًا: "هذا الخطر غير وارد. انظر هنا"، وأشار إلى جهاز على يمين بوصلة الوِجهة" "هذا ما أسميه 'مُتجنِّب

العوائق'. هذا الجهاز المرئي عبارة عن مفتاح تحويل، مهمته فتح وإغلاق تشغيل الآلية. تقع الأداة نفسها تحت السطح، وموجهة نحو كل من جهاز التوجيه وروافع التحكم".

"المسألة شديدة البساطة، ليست أكثر من مولد راديوم ينشر نشاطًا إشعاعيًّا في جميع الاتجاهات لمسافة مائة ياردة أو نحو ذلك من الطائرة. وإذا واجهت هذه القوة المغلفة اعتراضًا آتيًا من أي اتجاه، تستشعر أداة حساسة ذلك على الفور، وتنقل في الوقت نفسه نبضة إلى جهاز مغناطيسي، يعمل بدوره على تشغيل آلية التوجيه، محولًا مقدمة السفينة بعيدًا عن العائق، إلى أن يبتعد مجال النشاط الإشعاعي للسفينة عن العائق، ثم تعود الأداة إلى مسارها العادي مرة أخرى. وإذا كان العائق من الخلف، كما في حالة مركبة تتحرك بسرعة بحيث يمكن أن تدركني، تتولى الآلية حث جهاز التحكم في السرعة، فضلًا عن ترس القيادة، وتنطلق الطائرة إلى الأمام، أو لأعلى أو أسفل، حسب خط سير السفينة القادمة في الاتجاه المعاكس: ما إذا كانت أدنى أو أعلى من الطائرة نفسها".

"وفي الحالات المتفاقمة -أي عندما توجد العديد من العوائق، أو تؤدي طبيعة تلك العوائق إلى انحراف مقدمة الطائرة لأكثر من خمسٍ وأربعين درجة في أي اتجاه، أو عندما تصل الطائرة إلى وجهتها وتهبطت إلى مسافة مائة متر من الأرض- فإن الآلية توقف الطائرة تمامًا، وتصدر في الوقت نفسه صوت إنذار عاليًا يوقظ الطيار على الفور. كما ترى، لقد توقعت جميع الحالات الطارئة تقريبًا".

ابتسم ثوفان ديهن مُعربًا عن تقديره للجهاز الرائع. اندفع الخادم الأمامي إلى جانب الطائرة تقريبًا، وقد ضاقت عيناه إلى مجرد شقين.

وقال: "جميع حالات الطوارئ، ما عدا حالة واحدة".

تطلع نحوه النبلاء في دهشة، وأمسك أحدهم بكتف الخادم ببعض الخشونة لدفعه مرة أخرى إلى مكانة الصحيح. لكن كارثوريس رفع يده.

وقال: "انتظر. دعونا نسمع ما يريد هذا الرجل قوله؛ فلم يُخلق عقل بشري مثالي. فإذا صادف أنه كشف عن ضعف، فمن الجيد معرفته على الفور. تعالَ أيها الزميل الطيب، وأخبرني ما حالة الطوارئ التي لم أضعها في حسباني؟".

نظر كارثوريس خلال حديثه إلى الخادم عن كثب للمرة الأولى. شاهد رجلًا وسيمًا يتمتع بقامة عملاقة، مثله مثل أفراد العِرق المريخي الأحمر، لكنَّ شفتيه كانتا رفيعتين وقاسيتين، وظهر على أحد خديه خط أبيض باهت ناتج عن ضربة سيف من صدغه الأيمن حتى زاوية فمه.

حثه أمير هيليوم: "تعال، تكلم!".

تردد الرجل. وبدا واضحًا أنه ندم على جرأته التي جعلته مركز الاهتمام. لكنه تكلم أخيرًا، حيث لم يجد أي بديل آخر.

قال: "يمكن للعدو أن يتلاعب بها".

أخرج كارثوريس مفتاحًا صغيرًا من جيب حقيبته الجلدية.

وقال وهو يعطيه للرجل: "انظر إلى هذا. إذا كنت تعرف شيئًا عن

الأقفال، ستعرف أن الآلية التي يُطلقها هذا المفتاح تتجاوز دهاء صانعي الأقفال. فهو يحمي الأجزاء الحيوية من عبث الماكرين. ومن دونه، يحتاج العدو إلى تحطيم نصف الجهاز للوصول إلى قلبه، تاركًا عمله اليدوي مرئيًا لأي مشاهد".

أخذ الخادم المفتاح وهو ينظر إليه بدقة. وعندما تقدم لإعادته إلى كارثوريس، أسقطه على الرصيف الرخامي. واستدار الخادم للبحث عنه، ووضع نعل صندله بالكامل فوق المفتاح المتلألئ. وللحظة، اتكأ بوزنه كله على قدمه التي غطت المفتاح، ثم تراجع للوراء وهو يُعبّر عن سروره لأنه وجده، وانحنى، وأخذ المفتاح، وأعاده إلى كارثوريس، ثم عاد إلى موقعه مرة أخرى وراء النبلاء، وقد نسيه الجميع.

ودّع كارثوريس صديقه ثوفان ديهن ونبلاءه، وانطلق بأضواء متلألئة مرتفعًا في فضاء ليل المريخ.

* * *

الفصل (٢)

العبودية

نزل حاكم بتارث، ووراءه حاشيته، من منصة الهبوط فوق القصر. ونزل الخدم متجهين إلى أماكنهم في القصر خلف أسيادهم الملكيين أو النبلاء، لكن أحد الخدم تباطأ قليلًا وراء الآخرين حتى أصبح آخرهم، ثم انحنى وانتزع صندل قدمه اليمنى بسرعة ووضعه في جيب حقيبته.

عندما وصلت المجموعة إلى المستويات الأدنى وفرقهم الجيداك بإشارة منه، لم يلحظ أحد أن الخادم الذي لفت الانتباه كثيرًا قبل رحيل أمير هيليوم لم يعد موجودًا بين غيره من الخدم.

لم يفكر أحد في الاستفسار عنه ولأي حاشية ينتمي؛ فاتباع نبلاء المريخ كثيرون، يتحركون جيئةً وذهابًا وفقًا لرغبة سيدهم، بحيث نادرًا ما يصبح أي وجه جديد موضع تساؤل، لا سيما أن مرور رجل إلى داخل جدران القصر يُعد دليلًا إيجابيًّا على أن ولاءه للجيداك ليس محل أدنى شك نظرًا لصرامة الفحص الذي يلقاه كل مَن يسعى للخدمة مع نبلاء البلاط.

وهذه قاعدة جيدة، لكنها تُخفَّف فقط من قبيل المجاملة، لصالح حاشية ملك زائر من مملكة أجنبية صديقة.

وفي وقت متأخر من صباح اليوم التالي، مر خادم عملاق يرتدي عتاد بيت أحد نبلاء بتارث العظماء من بوابات القصر متجهًا إلى المدينة. اجتاز متكاسلًا بخفة طريق واسع، ثم طريق آخر، إلى أنه خرج من حي النبلاء ووصل إلى موقع المحال التجارية. توجه عندئذٍ إلى مبنى فخم يرتفع كالبرج نحو السماء، جدرانه الخارجية مزينة بإتقان بمنحوتات رقيقة وفسيفساء متشابكة.

كان «قصر السلام» الذي يضم ممثلي القوى الأجنبية، أو بالأحرى حيث توجد سفاراتهم؛ فالوزراء أنفسهم يسكنون في قصور رائعة في حي النبلاء.

اتجه الرجل نحو سفارة دوسار. دخل، ونهض موظف يستفسر عن سبب مجيئه. وعندما أفاد الرجل أنه يود التحدث مع الوزير، طلب الموظف أوراقه الشخصية. خلع الزائر سوارًا معدنيًّا بسيطًا يوجد فوق كوعه، وأشار إلى نقش على سطحه الداخلي وهو يهمس بكلمة أو كلمتين للموظف.

اتسعت عينا الموظف، وتحول موقفه على الفور إلى الاحترام. انحنى وجلب مقعدًا للرجل الغريب، ثم أسرع إلى غرفة داخلية والسوار في يده. عاد بعد ثوانٍ وقاد الرجل إلى حضرة الوزير.

استمر اللقاء المغلق لفترة طويلة. وأخيرًا خرج الخادم العملاق من المكتب الداخلي وعلى وجهه ابتسامة رضى شريرة، ثم خرج مسرعًا من

«قصر السلام» متوجهًا مباشرة إلى قصر وزير دوسار.

وفي تلك الليلة، غادرت طائرتان سريعتان من سطح القصر نفسه. اتخذت إحداها مسارها السريع نحو هيليوم؛ والأخرى...

تجولت ثوفيا البتارثية في حدائق قصر والدها، كما هي عادتها كل ليلة قبل النوم. وكانت تلف حولها الحرير والفراء، فهواء المريخ يبرد بعد أن تغطس الشمس أسفل حافة الكوكب الغربية.

طافت أفكار الفتاة بين زفافها الوشيك، الذي سيجعلها إمبراطورة كاول، والشاب الوسيم من هيليوم الذي وضع قلبه عند قدميها في اليوم السابق.

ويصعب القول ما إذا كان شعورًا بالأسف أو الندم هو الذي أضفى عليها تعبيرًا حزينًا وهي تحدق نحو السماء الجنوبية وتشاهد خفوت أضواء طائرته تبتعد في الليلة السابقة.

وكان من المستحيل أيضًا تخمين ماذا كانت مشاعرها عندما تبينت أضواء طائرة تتحرك مسرعة عبر مسافة بعيدة من هذا الاتجاه ذاته، كأنما تدفعها نحو حديقتها كثافة أفكار الأميرة.

رأتها تدور منخفضة فوق القصر إلى أن تأكدت أنها تحوم استعدادًا للهبوط.

والآن، تنطلق أشعة كشافها القوية من مقدمتها إلى أسفل. سقطت الأشعة على منصة الهبوط للحظة قصيرة، كاشفة عن حراس بتارث

ينتقون قطعًا نارية متألقة من الجواهر لعتادهم الرائع.

ثم توجهت الأعين اللامعة إلى الأمام، عبر القباب المصقولة والمنارات الرشيقة، ثم إلى أسفل نحو البلاط والمتنزه والحديقة، لتتوقف أخيرًا عند المقعد الطويل والفتاة التي تقف بجانبه ووجها مقلوب تمامًا نحو الطائرة.

توقف الكشاف لمجرد لحظة عند ثوفيا ثم انطفأ فجأة، كما كان قد أُضيء فجأة. مرت الطائرة فوقها، ثم اختفت وراء بستان من أشجار السكيل(١٣) الشامخة التي تنمو داخل حديقة القصر.

وقفت الفتاة لفترة بعد أن حلقت الطائرة بعيدًا، لكن رأسها كان منحنيًا وعيناها غارقتين في التفكير.

مَن غير كارثوريس؟ حاولت أن تشعر بالغضب لأنه عاد ليتجسس عليها؛ لكنها وجدت من الصعوبة أن تغضب من أمير هيليوم الشاب.

ما هذه النزوة الجنونية التي دفعته إلى انتهاك آداب الممالك؟ لقد نشبت حروب بين القوى الكبرى لأسباب أقل كثيرًا.

كانت مصدومة وغاضبة كأميرة، لكن ماذا عنها كفتاة!

والحرس- ماذا عنهم؟ من الواضح أنهم فُوجئوا أيضًا بهذا السلوك غير المسبوق من شخص غريب لم يواجهوه حتى. ولكن سرعان ما اتضح أنهم لن يتركوا الأمر يمر ببساطة هكذا؛ وهو ما تجلى في تسيير

---

(١٣) شجرة سكيل: شجرة من خشب مريخي صلب يُستخدم في بناء كل شيء من السكن إلى الأثاث. وتنتج أيضًا شجرة سكيل جوز جيد المذاق- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Skeel*- المترجمة.

المحركات فوق منصة الهبوط، وإطلاق نيران سريعة من زورق دورية طويل.

شاهدته ثوفيا يتحرك بسرعة شرقًا. كما شاهدت ذلك أعين أخرى أيضًا.

داخل الظلال الكثيفة لبستان أشجار السكيل، في شارع واسع أسفل أوراق الشجر المنتشرة، تعلقت طائرة فضائية على مسافة ١٢ مترًا فوق الأرض. ومن على سطحها، شاهدت أعين حريصة كشاف زورق الدورية الذي يُلقي بضوئه بعيدًا. لم يظهر أي ضوء من السفينة المختفية في الظلال. وعلى سطحها، كان الصمت كالمقبرة. شاهد طاقمها، الذي يضم نصف دزينة من المحاربين الحُمر، أضواء زورق دورية يتناقص مع ابتعادها.

قال شخص بنبرة منخفضة: «عقول أجدادنا معنا الليلة».

وأجاب شخص آخر: «لم تُنفذ أي خطة من قبل أفضل. لقد فعلوا تمامًا ما تنبأ به الأمير».

التفت المتحدث الأول نحو الرجل الرابض أمام زورق الدورية.

وقال هامسًا: «الآن!». لم يُعطَ أي أمر آخر. فمن الواضح أن كل رجل على السفينة كان يعرف جيدًا جميع تفاصيل العمل المطلوب في تلك الليلة. تسللت السفينة الداكنة في صمت أسفل أقواس البستان المظلم الصامت.

رأت ثوفيا، وهي تحدق نحو الشرق، بقعة أكثر سوادًا على خلفية

سواد الأشجار، حيث اجتازت السفينة جدار الحديقة. شاهدت الكتلة القاتمة تنحدر رويدًا إلى أسفل، نحو المرجة القرمزية في الحديقة.

عرفت أن الرجال لم يأتوا بنوايا حسنة. على أنها لم تصرخ بصوت عال لتنبيه الحراس القريبين، ولم تفرَّ إلى القصر من أجل سلامتها.

لماذا؟

أستطيع أن أراها تهز كتفيها الرشيقتين وهي ترد بالإجابة القديمة قدم الدهر، والشائعة لدى النساء: لأن!

ما إن لمست السفينة الأرض، حتى قفز أربعة رجال من سطحها، وركضوا إلى الأمام نحو الفتاة.

لم تقم بأي إشارة إنذار بعد، كانت تقف كأنها منومة مغناطيسيًا. أو هل كانت كمَن ينتظر زائرًا مرحبًا به؟

لم تتحرك إلا عندما اقتربوا منها. كان القمر الأقرب يرتفع فوق أوراق الشجر المحيطة، وأضاءت أشعته الفضية الرائعة وجوههم.

رأت ثوفيا رجالًا غرباء؛ محاربين يرتدون عتاد مملكة دوسار. وعندئذ فقط شعرت بالخوف، ولكن بعد فوات الأوان!

أمسكت أيدٍ خشنة بها، قبل أن تتمكن حتى من إطلاق صرخة واحدة. التف وشاح حريري ثقيل حول رأسها، ورفعتها أيادٍ قوية ووضعتها على ظهر السفينة الفضائية. وفجأة درات المراوح، واندفع الهواء نحو جسدها؛ وتناهت من بعيد، من أسفل، أصوات صياح الحراس ووعيدهم.

كانت تسرع نحو الجنوب سفينة آخرى في اتجاه هيليوم؛ وبداخل مقصورتها رجل أحمر طويل يميل على نعل ليّن لصندل مقلوب. وباستخدام أدوات دقيقة، قاس الأثر الباهت للشيء الصغير الذي يظهر على النعل. وكتب نتائج قياساته على لوحة بجواره تضم رسمًا لخطوط عريضة لمفتاح.

ظهرت ابتسامة على شفتيه عندما أنجز مهمته، ثم استدار نحو شخص ينتظره في الجانب الآخر من المنضدة.

قال: "الرجل عبقري".

"لا يمكن إلا لعبقري أن يخترع مثل هذا القفل المُصمم كي تنطلق السفينة. ها هو، خُذ الرسم التخطيطي، يا لاروك، وأطلق العنان بالكامل لعبقريتك لتحويل الرسم إلى معدن".

انحنى المحارب-المخترع، وقال: "لم يبنِ الرجل شيئًا يعجز المرء عن تدميره"، ثم غادر المقصورة ومعه الرسم.

عند طلوع الفجر فوق الأبراج الشامخة التي تُعد علامة على المدينتين التوأم في هيليوم -البرج القرمزي في إحداهما، والبرج الأصفر في المدينة الشقيقة- طافت سفينة متكاسلة قادمة من الشمال.

ارتفعت فوق مقدمة السفينة راية نبيل من مرتبة منخفضة من مدينة بعيدة في إمبراطورية هيليوم. لم يثر اقترابها على مهل، والثقة الواضحة التي عبرت بها المدينة، أي شكوك في عقول الحراس الناعسين. فقد أنهوا جولتهم تقريبًا، ولم يفكروا في شيء أبعد من قدوم حراس الدورية التالية للتخفيف عنهم.

ساد السلام في جميع أنحاء هيليوم، سلام ساكن وهادئ. فلا يوجد أعداء لهيليوم، ولا يوجد ما يدعو إلى الخوف.

تحركت ببطء ودون تسرع أقرب دورية جوية، واقتربت من الطائرة الغريبة. وعلى مسافة مناسبة، رحَّب الضابط على سطح زورق الدورية بالطائرة القادمة.

كانت كلمة الترحيب "كاور!" بابتهاج، والتفسير المعقول بأن صاحب الطائرة آتٍ من مناطق بعيدة ليقضي بضعة أيام من المتعة في هيليوم، كافيين. رد زورق الدورية الجوية الترحيب، ومضى مرة أخرى في طريقه. واصلت طائرة الغريب الفضائية رحلتها، متجهة نحو منصة هبوط عامة، حيث هبطت متحركة على الممر إلى أن استقرت تمامًا.

في الوقت نفسه تقريبًا، دخل محارب إلى مقصورتها.

وقال: "تم الأمر، يا فاس كور"، وهو يسلم مفتاحًا معدنيًا صغيرًا للنبيل طويل القامة الذي نهض من حرير وفراء النوم.

رد فاس كور: "حسنًا، من المؤكد أنك أمضيت الليل لتنجز هذا العمل يا لاروك".

هز المحارب رأسه في إيماءة.

وبعد ذلك أمره فاس كور: "والآن عليك أن تعطيني معدن هيليوم الذي صنعته منذ عدة أيام".

وبعد أن قام المحارب بذلك، ساعد سيده ليضع الحلي البسيطة لمقاتل عادي من هيليوم محل المعدن المرصع بالجواهر في عتاده، مع

نفس شارة البيت المميزة التي تظهر عند مقدمة الطائرة.

تناول فاس كور إفطاره على متن الطائرة، ثم ذهب إلى الرصيف الجوي ودخل إلى مصعد، حمله إلى الشارع أدناه، وسرعان ما وجد نفسه بين حشود الصباح الباكر من العاملين الذين يسرعون لأداء واجباتهم اليومية.

لم تكن أغطيته المزخرفة كمحارب ملحوظة بينهم؛ فجميع رجال المريخ محاربون، ما عدا غير القادرين بدنيًّا على حمل السلاح. تصدر أصوات صلصلة من أغطية التاجر الحربية وموظفه خلال ممارستهم لمهنتهم. ويأتي التلميذ إلى العالم وهو بالغ تقريبًا، بعد خروجه من قشرة بيضته التي شملته برعايتها لخمس سنوات طوال، ولا يعرف الحياة دون سيف معلق في وركه، وإذا تحرك دون سلاح سوف يشعر بنفس الضيق الذي يشعر به الرجل على كوكب الأرض عند سيره في شوارع تتسم بالخطورة.

كانت وجهة فاس كور تقع في هيليوم الكبرى، على مسافة حوالي خمسة وسبعين ميلًا عبر السهل المنخفض في هيليوم الصغرى. لقد هبط بطائرته في المدينة الأخيرة؛ لأن دورياتها الجوية أقل تشككًا وحذرًا من نظيرتها في العاصمة الأكبر، التي تضم قصر الجيداك.

وخلال تحركه مع الناس في الوادي الضيق الشبيه بالمنتزه عبر الطريق، كانت المدينة المريخية مملوءة بالحياة من حوله. فالبيوت التي ترتفع على أعمدة معدنية رفيعة أثناء الليل، أخذت تهبط بلطف نحو الأرض. والأطفال يلعبون بين الزهور فوق المرجة القرمزية التي

تقع حول المباني؛ والنساء الجميلات يضحكن ويدردشن مع جيرانهن، ويقطفن أزهارًا بديعة لوضعها في المزهريات عند الأبواب.

وكانت كلمة الترحيب المريخية الدمثة "كاور" تهبط باستمرار على أذني الغريب خلال سيره بين أصدقاء وجيران يمارسون واجبات يوم جديد.

لقد هبط في حي سكني- حي يضم أكثر التجار ازدهارًا. تجد أدلة الترف والثروة في كل مكان. وظهر العبيد على سطح كل منزل ومعهم حرير رائع وفراء باهظ التكلفة، يضعونه في الشمس لتهويته. وتسترخي النساء مرتديات جواهرهن، حتى في هذا الوقت المبكر، في الشرفات أمام شقق نومهن. ويصعدن، في فترة لاحقة، إلى الأسطح عندما ينتهي العبيد من ترتيب الأرائك وتعليق الستائر الحريرية لتظللهن من الشمس.

تدفقت نغمات موسيقى جميلة من النوافذ المفتوحة؛ فقد حلَّ المريخيون مشكلة مواءمة جهازهم العصبي مع الانتقال المفاجئ من النوم إلى الاستيقاظ، وهو ما ثبتت صعوبة تحقيقه لمعظم سكان كوكب الأرض.

وكانت تتحرك في أعلى جيئةً وذهابًا، طائرات فضائية طويلة وخفيفة لنقل الركاب، تطير كل منها في مسارها السليم بين منصات الهبوط العديدة لتخدم حركة مرور الركاب الداخلية. أما منصات الهبوط التي ترتفع عاليًا في السماء، فهي مخصصة لخطوط السفن الفضائية الكبرى للركاب على المستوى الدولي. وهناك منصات أخرى لهبوط سفن الشحن، تقع على مستويات أدنى مختلفة، إلى حوالي بضع

مئات من الأقدام من الأرض؛ ولا تجرؤ أي سفينة أن ترتفع أو تنخفض من مستوى إلى آخر، إلا في بعض الأحياء المحددة التي تحظر الحركة الأفقية.

وعلى طول المرجة مقصوصة العشب التي تمهد الطريق، تتحرك السفن الأرضية في خطوط متواصلة في اتجاهين متعاكسين. كان الجزء الأكبر من تلك السفن يتحرك على طول سطح المرجة، ويرتفع أحيانًا برشاقة في الهواء ليمر فوق سائق بطيء، أو عند التقاطعات، حيث تسير حركة المرور الشمالية والجنوبية ويجب أن ترتفع فوقها حركة المرور الشرقية والغربية.

ومن حظائر خاصة فوق العديد من الأسطح، كانت تنطلق طائرات متجهة إلى خط سيرها. اختلط الوداع المرِح ونصائح الفُراق مع أزيز المحركات والضوضاء الصاخبة في المدينة.

ومع كل هذه الحركة السريعة والآلاف العديدة من الناس الذين يسرعون هنا وهنا، كان الشعور الغالب هو السهولة المترفة وهدوء الصمت الناعم.

يكره المريخيون الضجة المتنافرة المزعجة. على أن أصوات الحرب العسكرية، واشتباك الأسلحة، وتصادم السفن المدرعة القوية في الجو، كانت الأصوات العالية الوحيدة التي يمكنهم سماعها دون غضاضة. ولا يوجد بالنسبة لهم موسيقى أكثر عذوبة منها.

نزل فاس كور، عند تقاطع طريقين واسعين، من مستوى الشارع إلى أحد المحطات الهوائية الكبيرة في المدينة. ودفع عند بوابة صغيرة

رسوم نقله إلى الوجهة التي يريدها: قطعتين نقديتين بيضاويتين وباهتتين من عُملة هيليوم.

وبعد حارس البوابة، وصل إلى صف يتحرك ببطء لما قد يبدو لأعين سكان كوكب الأرض وكأنها قذائف ذات مقدمة مخروطية الشكل بثماني أقدام لمدفع عملاق. تحركت هذه الأشياء واحدة تلو الأخرى في موكب بطيء على طول مسار أخدودي. وقام ما يقرب من نصف دزينة من العاملين بمساعدة الركاب على الدخول، أو توجيه هذه الناقلات إلى وجهتها الصحيحة.

اقترب فاس كور إلى واحدة فارغة، يوجد عند مقدمتها قرص ومؤشر. حرّك المؤشر نحو محطة معينة في هيليوم الكبرى، ثم رفع الغطاء المقوس لهذا الشيء ودخل، واستلقى على أغطية السطح السفلي. قفل العامل الغطاء، الذي انغلق بنقرة بسيطة، وواصل الناقلات طريقها البطيء.

والآن، نقل الشيء نفسه تلقائيًا إلى مسار آخر، حيث دخل بعد لحظة إلى نفق بين سلسلة من الأنفاق ذات المداخل المظلمة.

وما إن اكتمل دخول الناقلات إلى الفتحة السوداء، حتى انطلقت إلى الأمام بسرعة رصاصة البندقية. كانت هناك لحظة من الأزيز- توقف معتدل، وإن كان مفاجئًا، وبدأت الناقلة تظهر ببطء عند رصيف آخر. قام العامل برفع الغطاء، وخرج فاس كور إلى المحطة التي تقع أسفل مركز هيليوم الكبرى، وكانت على بُعد خمسة وسبعين ميلًا من النقطة التي بدأ منها.

وهنا توجه إلى مستوى الشارع، وصعد على الفور إلى طائرة أرضية في انتظاره. لم يقل أي كلمة للعبد الذي يجلس في مقعد السائق. من الواضح أن حضوره كان متوقعًا، وأن العبد تلقى تعليماته قبل مجيئه.

وما إن جلس فاس كور في مقعده، حتى انطلقت الطائرة في مسيرتها بسرعة؛ والآن تستدير من الطريق الواسع المزدحم إلى شارع أقل ازدحامًا. غادرت حاليًا الحي المزدحم ودخلت إلى قسم يضم متاجر صغيرة، ثم توقفت أمام مدخل متجر يحمل علامة تاجر في الحرير الأجنبي.

دخل فاس كور غرفة ذات سقف منخفض. أشار إليه رجل في نهاية الغرفة ليتوجه إلى شقة داخلية، دون إبداء أي علامة على معرفتهما، إلى أن سار خلفه فاس كور وأغلق الباب.

ثم نظر إلى الزائر، وحياه بود.

بدأ يقول: "أنبل..."، لكن فاس كور أومأ له ليصمت.

وقال "لا شكليات. يجب ألا ننسى أنني لست سوى عبدك. إذا كان كل شيء قد تم بعناية حسب التخطيط، فليس لدينا وقتًا نضيعه. بل علينا بالأحرى أن نتخذ طريقنا إلى سوق الرقيق. هل أنت مستعد؟".

أومأ التاجر، ثم تحول نحو صندوق كبير، وأخرج أغطية عادية يرتديها العبيد، وعلى الفور ارتداها فاس كور. خرج الاثنان من باب خلفي للمحل، وسارا في زقاق متعرج حتى وصلا إلى طريق تنتظرهما عنده طائرة، وصعدا إليها.

وبعد خمس دقائق، كان التاجر يقود العبد إلى السوق العام، حيث ملأت حشود ضخمة من الناس فضاءً كبيرًا مفتوحًا توجد في منتصفه منصة للعبيد.

كانت الحشود هائلة اليوم؛ ذلك أن كارثوريس، أمير هيليوم، هو الـمُزايد الرئيس.

صعد الأسياد إلى المنصة، واحدًا تلو الآخر، بجوار مجموعة العبيد. وسرد كل منهم بإيجاز ووضوح فضائل عرضه.

عندما انتهى الجميع من كلماتهم، أشار كبير خدم أمير هيليوم إلى مجموعة العبيد على نحو ينمُّ عن إعجابه؛ ولذا قدم عرضًا جيدًا.

كانت المساومات حول السعرِ قليلة، ولم تُوجد أي مساومة على الإطلاق عند وضع فاس كور على المنصة. وافق سيده التاجر على قبول العرض الأول الـمُقدم له، وهكذا دخل نبيل من دوسار إلى بيت كارثوريس.



الفصل (٣)

الخيانة

في اليوم التالي لدخول فاس كور إلى قصر أمير هيليوم، سادت حالة من الإثارة الشديدة في كافة أنحاء المدينتين التوأم، ووصلت إلى ذروتها في قصر كارثوريس. فقد وصل خبر اختطاف ثوفيا البتارثية من بلاط والدها، مع تلميح خفي بوجود شكوك في أن أمير هيليوم قد يكون على علم بذلك ويعرف مكان الأميرة.

اجتمع في قاعة مجلس جون كارتر، أمير الحرب في المريخ، كل من: تاردوس مورس، جيداك هيليوم؛ وابنه مورس كاجاك، جِد[١٤] هيليوم الصغرى؛ وكارثوريس، ومجموعة من كبار نبلاء الإمبراطورية.

قال جون كارتر: «يا بُني، يجب ألا تنشب الحرب بين بتارث وهيليوم. ونحن نعرف جميعًا أنك بريء من التهمة التي يُلمحون بها ضدك؛ لكن ثوفان ديهن يجب أن يعرف أيضًا».

«ولن يقنعه بذلك سوى شخص واحد، وهو أنت. عليك أن تسرع على الفور إلى بلاط بتارث؛ وبوجودك هناك، وبكلماتك، يمكنك أن

(١٤) جِد: الجِد هو لقب قائد مدينة أو جماعة- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Jed*- المترجمة.

تؤكد له أن شكوكه بلا أساس. اذهب حاملًا سلطة أمير الحرب في برسوم وجيداك هيليوم، واعرض تقديم كافة موارد الحلفاء لمساعدة ثوفان ديهن على استعادة ابنته ومعاقبة مختطفيها، مهما كانوا».

«اذهب! وأنا أعرف أنني لا أحتاج إلى حثك على ضرورة الإسراع».

غادر كارثوريس قاعة المجلس، وسارع إلى قصره.

انشغل العبيد للحظات في إعداد الأشياء اللازمة لرحيل سيدهم. كما انشغل العديد منهم في عملهم حول الطائرة السريعة التي ستحمل أمير هيليوم إلى بتارث.

وأخيرًا أنجزوا كل شيء، وبقي عبدان مسلحان ليقوما بالحراسة. كانت الشمس تنخفض فوق الأفق، وسرعان ما سيلف الظلام كل شيء.

كان أحد الحارسين عملاقًا، تمتد على خده الأيمن ندبة رفيعة من صدغه إلى فمه. أخذ هذا الحارس يقترب من زميله، موجهًا بصره إلى شيء ما خلف زميله.

وسأله: «ما هذه الطائرة الغريبة؟».

أدار الحارس الثاني رأسه بسرعة محولًا بصره نحو السماء. وما إن استدار ثانية نحو العملاق، حتى طعنه الأخير بنصل سيفه القصير تحت كتفه الأيسر، ومباشرة إلى قلبه.

سقط الجندي بلا صوت في موقعه ميتًا. أسرع القاتل بجر الجثة إلى الظلال السوداء في الحظيرة، ثم عاد إلى الطائرة.

أخرج من جيب حقيبته مفتاحًا صُنع بمكر، ثم أزال غطاء القرص

الأيمن لبوصلة التوجيه. ظل للحظات يدرس بنية الآلية تحته، ثم أعاد القرص إلى مكانه وضَبَط المؤشر، ثم أزاله مرة أخرى ليرى التغيير الناتج في وضع الأجزاء المتضررة من جراء ما فعله.

ظهرت ابتسامة على شفتيه. استعان بزوج من القواطع لقطع النتوء الذي امتد عبر القرص من المؤشر الخارجي- والآن، يمكن نقل هذا المؤشر إلى أي نقطة على القرص دون التأثير على الآلية أدناه. وبعبارة أخرى، أصبح قرص نصف الكرة الشرقي عديم الفائدة.

حوّل انتباهه الآن إلى القرص الغربي. قام بضبطه عند نقطة معينة، ثم أزال غطاء هذا القرص أيضًا، واستعان بأداة حادة لقطع الإصبع الفولاذي من الجانب السفلي من المؤشر.

واستبدل، بأقصى سرعة ممكنة، غطاء القرص الثاني، ثم عاد إلى موقعه بالحراسة. كانت البوصلة تعمل بنفس كفاءتها السابقة لجميع المقاصد والأغراض؛ لكن نقل المؤشرات على القرصين نتج عنه عمليًا عدم تحرك مناظر في الآلية السفلية، كما تم ضبط الجهاز بحيث يظل ثابتًا على الوجهة التي اختارها العبد.

وصل الآن كارثوريس، وبرفقته حفنة من السادة. ألقى نظرة عابرة على العبد الذي وقف منفردًا للحراسة. على أن شفاه العبد الرفيعة، وإصابته بقطع سيف يمتد من خده إلى فمه، أثار داخله ذكرى غير سارة. وتساءل من أين جاء ساران تال(١٥) بهذا الرجل، ثم تلاشى الموضوع

(١٥) ساران تال: كبير الخدم في قصر كارثوريس- http://barsoom.wikia.com/wiki/Saran_Tal - المترجمة.

من فكره، وأخذ يضحك ويدردش مع رفاقه، رغم أن قلبه كان باردًا من الجزع والقلق لأنه لا يقدر حتى على تخمين ما تواجهه ثوفيا من احتمالات.

كان أول ما تبادر إلى ذهنه، بطبيعة الحال، أن أستوك من دوسار اختطف ثوفيا الجميلة؛ لكن أخبار الاحتفالات الكبرى التي أقيمت في دوسار احتفاء بعودة ابن الجيداك إلى بلاط والده، قد وصلت في الوقت نفسه تقريبًا مع وصول أخبار الاختطاف.

لا يمكن أن يكون هو، هكذا تصور كارثوريس، لأن استوك كان في دوسار في نفس ليلة اختطاف ثوفيا، مع ذلك..

دخل الطائرة، وتبادل كلمات عادية مع رفاقه وهو يفتح آلية البوصلة ويضبط المؤشر على عاصمة بتارث.

ودّع رفاقه، ثم لمس الزر الذي يسيطر على أشعة الدفع. ومع ارتفاع الطائرة قليلًا في الجو، أطلق المحرك صوته استجابة للمسة إصبع كارثوريس على الزر الثاني، وأطلقت المراوح أزيزها عندما جذبت يده رافعة السرعة إلى الخلف. وهكذا انطلق كارثوريس، أمير هيليوم، في سماء ليل المريخ الرائع وتحت قمريه المندفعين وملايين النجوم.

وما إن بدأت الطائرة تتخذ سرعتها، حتى لف الرجل حرير وفراء النوم حوله، وتمدد بطوله كاملًا على سطح السفينة الضيق لينام.

لكن النوم لم يأتِ كما كان يرغب.

فقد كانت الأفكار تتقلب في ذهنه، وتُبعد عنه النوم. تذكّر كلمات

ثوفيا البتارثية، الكلمات التي شبه أن أكدت له أنها تحبه؛ فعندما سألها إذا كانت تحب كولان تيث، لم تقل في إجابتها سوى أنها وعدته.

وهو يرى الآن أن ردها كان يحمل أكثر من معنى. فقد يعني، بطبيعة الحال، أنها لا تحب كولان تيث؛ وبالتالي يمكن أخذ المعنى على أنها تحب شخصًا آخر.

ولكن، ماذا يضمن أن الشخص الآخر هو كارثوريس من هيليوم؟

وكلما فكر في الأمر، يتأكد أكثر من عدم وجود أي شيء في كلماتها يضمن أنها تحبه، كما لا يتأكد ذلك من خلال أفعالها. كلا، الحقيقة هي أنها لا تحبه، بل تحب شخصًا آخر. ولم يختطفها أحد، بل هربت عن طيب خاطر مع حبيبها.

ومع هذه الأفكار السارة، التي جعلته بالأحرى يشعر باليأس والغضب، غط كارثوريس أخيرًا في النوم بعد أن استنفدت الأفكار ذهنه.

وجده طلوع الفجر المفاجئ نائمًا؛ وطائرته تسرع فوق سهول صفراء جرداء- قاع البحر المريخي الميت في العالم القديم.

ارتفعت على البُعد تلال منخفضة. ومع الاقتراب منها، كان يمكن رؤية أرض أمامية كبيرة من على سطح السفينة، أرض ممتدة كانت في يوم ما بمثابة محيط جبار. واصلت السفينة تحليقها ودورانها حول ميناء مدينة منسيّة، لا تزال ممتدة وراء أرصفة الميناء المهجورة، وكومة هائلة من العمارة الجيبة التي تنتمي إلى ماض سحيق فانٍ.

هناك عدد لا يُحصى من النوافذ الكئيبة، مهجورة وخالية من التعبير، تحدق عمياء من جدرانها الرخامية؛ وتتناثر عبر أنحاء المدينة الحزينة أكوام من جماجم الموتى التي حولتها الشمس إلى اللون الأبيض؛ وتظهر نوافذ الأبواب كمحجر للعين خال من الأعين، وبوابات، وفكين مبتسمين.

زاد اقتراب الطائرة، وأخذت سرعتها تتضاءل- لكن هذا الموقع لم يكن بتارث.

توقفت فوق الساحة المركزية، لتهبط ببطء. توقفت تمامًا على بُعد مائة ياردة من الأرض، وهي تطفو برفق في الهواء الخفيف. وفي اللحظة نفسها، وصل صوت إنذار إلى أذن النائم.

نهض كارثوريس. نظر أدناه متوقعًا رؤية مدينة بتارث المزدحمة، ومتصورًا ضرورة وجود دورية جوية بجواره.

أخذ يحدق حوله في دهشة حائرة؛ فقد وصل إلى مدينة عظيمة بالفعل، لكنها ليست بتارث. لا تصطخب الحشود عبر طرقها الواسعة، ولا تظهر أي علامات على الحياة تكسر رتابة الموت على الأسطح المهجورة، ولا أي مشهد للحرير الرائع، ولا الفراء الثمين الذي يمنح الحيوية واللون لهذا الرخام البارد والخشب اللامع.

كما لا يوجد زورق دورية على استعداد لأي تحديات مألوفة. تقع المدينة العظيمة في حالة صامتة وفارغة- كصمت وفراغ الهواء المحيط.

ماذا حدث؟

فحص كارثوريس قرص البوصلة؛ ووجد مؤشرها يتجه نحو بتارث. هل خانه الشيء الذي ابتكرته عبقريته؟ لم يعتقد ذلك.

أسرع بفتح الغطاء، ثم أعاده إلى مفصلته. فقد أدرك الحقيقة، أو جزءًا منها على الأقل، بلمحة واحدة- قُطِع النتوء الصلب الذي ينقل حركة المؤشر فوق القرص إلى قلب الآلية تحته. انقطع.

مَن الذي يمكنه أن يفعل ذلك؟ ولماذا؟

لم يستطع كارثوريس أن يخاطر حتى بتخمين ضعيف. لكن المهم الآن أن يعرف موقعه في هذا الجزء من العالم، ثم يواصل رحلته مرة أخرى.

فكر كارثوريس، وهو يفتح غطاء القرص الثاني، أنه إذا كان غرض بعض أعدائه من التلاعب في طائرته هو تأخيره، فقد نجحوا تمامًا؛ فمؤشر القرص الأول لم يُضبط على الإطلاق.

وجد تحت القرص الثاني دبوس الصلب مقطوعًا مثلما الحال في القرص الأول، لكن آلية التحكم كانت مضبوطة أولًا على بقعة على نصف الكرة الغربي.

تمكن من تحديد موقعة تقريبًا في مكان ما جنوب غرب هيليوم، وعلى مسافة بعيدة من المدينتين التوأم؛ وفجأة أذهله صراخ امرأة في أسفل.

مال عند جانب الطائرة، ورأى امرأة حمراء يسحبها محارب أخضر ضخم عبر الساحة. على ما يبدو أنه أحد السكان الشرسين القساة الذين

يقطنون قيعان البحر الميت والمدن المهجورة في المريخ الآخذ في الاحتضار.

لم ينتظر كارثوريس؛ بل أسرع إلى لوحة التحكم ووجه طائرته لتهبط عموديًّا على الأرض.

كان الرجل الأخضر يسرع بأسيرته نحو حيوان ثوات[١٦] ضخم يرعى فوق الغطاء النباتي الأصفر في الساحة التي كانت في يوم ما قرمزية رائعة. وفي اللحظة نفسها، قفزت دزينة من المحاربين الحُمر من مدخل قصر قريب، تسعى خلف الخاطف بسيوفها وتطلق صيحات إنذار غاضبة.

رفعت المرأة وجهها إلى أعلى نحو الطائرة التي تهبط، وبلمحة واحدة سريعة رأى كارثوريس أنها ثوفيا البتارثية!



(١٦) الثوات: حيوان مريخي يبلغ ارتفاعه عشر أقدام، ولديه أربعة أرجل على كل جانب، وذيله عريض مُسطح وحجمه عند الطرف أكبر منه عند المنبت، ويمتد مباشرة خلفه عندما يجري؛ وفمه مفتوح يقسم رأسه من أنفه إلى عنقه الطويل الضخم. وهو خال تمامًا من الشَّعر، ولون بشرته هو الرمادي الذي تشوبه الزُّرقة. أما بطنه فلونه أبيض، ويتدرج لون سيقانه بظلال من لون الكتفين فالوركين وصولًا إلى اللون الأصفر الزاهي عند أقدامه. والأقدام نفسها شديدة الامتلاء وبلا أظافر، مما يسهم أيضًا في تحركه دون ضوضاء؛ وهو الأمر الذي يُشكل، إضافة إلى تعدد سيقانه، سمة مميزة لحيوانات المريخ *http://barsoom.wikia.com/wiki/Thoat* - المترجمة.

الفصل (٤)

أسيرة الرجل الأخضر

عندما لمس ضوء النهار سطح الطائرة الصغيرة التي ضمت أميرة بتارث بعد اختطافها من حديقة والدها، أدركت ثوفيا أن الليل قد شهد تغير مظهر خاطفيها.

لم تعد أغطيتهم المزخرفة تلمع بمعدن دوسار، بل ظهرت عليها شارة أمير هيليوم.

تجدد أمل الفتاة أمل؛ لأنها لم تستطع أن تصدق أن قلب كارثوريس لا يمكن أن يضمر لها الشر ويتعمد إضرارها.

تحدثت إلى المحارب الذي يجثم أمام لوحة التحكم.

قالت: «كنت ترتدي الليلة الماضية أغطية دوسار، والآن لديك معدن هيليوم. ماذا يعني ذلك؟».

نظر الرجل إليها مبتسمًا.

وقال: «أمير هيليوم ليس أحمقَ».

وعندئذ خرج ضابط من المقصورة الصغيرة، ووبخ المحارب لتحدثه مع السجينة، ولم يجب هو نفسه على أي من أسئلتها.

لم يلحقوا بها أي ضرر أثناء الرحلة. وصلوا أخيرًا إلى وجهتهم مع الفتاة، دون أن تعرف خاطفيها أو الغرض من خطفها.

استقرت الطائرة ببطء على ساحة أحد تلك الأطلال التي تنتمي إلى الماضي الميت والمنسي للمريخ- المدن المهجورة التي تقع عند أطراف قيعان البحار الصفراء الحزينة، حيث كان اندفاع الفيضانات الجبارة فوقها في يوم ما ينقل التجارة البحرية لشعوب قد ولّت إلى الأبد.

لم تكن هذه الأماكن غريبة على ثوفيا؛ فقد عرفتها خلال تجوالها بحثًا عن نهر إيس، عندما خرجت وقتها لتقوم برحلة الحج الطويلة النهائية التي اعتاد عليها سكان المريخ لعدد لا يُحصى من العصور، متجهة إلى وادي دور، حيث يكمن بحر كوراس المفقود، وشاهدت العديد من تلك الأطلال التي تعيد الذاكرة الحزينة حول عظمة ومجد برسوم القديمة.

كما عبرت هذه البقعة ثانية خلال رحلتها من معابد الثيرن المقدسين(١٧) مع تارس تاركاس، جيداك ثارك، وشاهدت مع زملائها من السجناء الغرباء تلك القرود البيضاء الضخمة في برسوم.

وتعرف أيضًا أن قبائل الرجال الخُضر البدوية تستخدم العديد من

---

(١٧) الثيرنيون أو الثيرن: هم عِرق مريخي أبيض البشرة وأصلع، يرتدون باروكات شقراء، ويتمتعون بقوى عقلية خارقة *http://barsoom.wikia.com/wiki/Thern*- المترجمة.

هذه الأطلال والمدن. ومن بين جميع هذه المدن، لا توجد مدينة لم يتجنبها الرجال الحُمر؛ فجميع المدن دون استثناء تقع وسط مساحات شاسعة خالية من الماء، ولا تصلح لاستمرار بقاء العرق المهيمن في المريخ.

إذنْ، لماذا أحضروها إلى هذا المكان؟ لا توجد سوى إجابة واحدة؛ هذه هي طبيعة مهمتهم، فهم يسعون إلى العزلة التي توفرها مدينة ميتة. ارتعدت الفتاة وهي تفكر في محنتها.

أبقاها الخاطفون لمدة يومين داخل قصر ضخم يعكس، حتى في حالته الخربة، روعة ذلك العصر عندما كان في ريعان شبابه.

وقبل الفجر مباشرة، في اليوم الثالث، أيقظتها أصوات اثنين من خاطفيها.

قال أحدهم: «يجب أن يصل هنا قبل الفجر. دعها تستعد عند الساحة، وإلا لن يهبط على الأرض أبدًا. ففي اللحظة التي سيعرف فيها أنه في بلد غريب، سيرحل على الفور. أعتقد أن خطة الأمير ضعيفة في هذه النقطة».

أجاب الثاني: «لم تكن هناك طريقة أخرى. إنه لعمل رائع أن يحضرهما إلى هنا، وحتى إذا لم ننجح في استدراجه إلى الهبوط، نكون قد أنجزنا الكثير».

وهنا رأى المتحدث عينَي ثوفيا موجهة نحوه، كشفتها بقعة الضوء سريعة الحركة القادمة من القمر ثوريا خلال سباقه الجنوني عبر السماء.

توقف عن الحديث بعد أن ألمح إلى زميله بإشارة خاطفة. توجه نحو الفتاة وأشار لها أن تنهض، ثم قادها خلال الليل نحو وسط الساحة الكبيرة.

قال لها آمرًا: «قفي هنا، إلى أن نأتي إليك. سوف نراقبكِ، وإذا حاولتِ الهرب سوف يسوء وضعكِ أسوأ كثيرًا من الموت. هذه أوامر الأمير».

استدار وعاد إلى القصر بعد أن تركها وحدها وسط الأهوال غير المرئية في المدينة الشبحية؛ فهي أماكن مسكونة في اعتقاد كثير من سكان المريخ الذين لا يزالون يتشبثون بالخرافات القديمة التي تقول إن أرواح الثيرن المقدسين الذين يموتون قبل بلوغ سن الألف المحددة لهم، تنتقل أحيانًا إلى أجسام القرود البيضاء الضخمة.

أما بالنسبة إلى ثوفيا، كان يكفيها الخطر الحقيقي المتمثل في هجوم أحد تلك الحيوانات الشرسة، الشبيهة بالإنسان. فهي لم تعُدْ تعتقد في ذلك الانتقال الغريب للروح الذي علَّمه لها الثيرنيون قبل أن ينقذها جون كارتر من براثنهم؛ لكنها تعرف جيدًا المصير المروع الذي ينتظرها إذا تمكن أحد هذه الوحوش الرهيبة من الوصول إليها خلال تجواله الليلي.

ما هذا؟

من المؤكد أنها لم تُخطئ. هناك شيء ما يتحرك خلسة في ظل إحدى الكتل الحجرية الكبيرة التي تصطف على طول الطريق، ويدخل إلى الساحة المقابلة لها!

إنه ثار بان، جِد بين جحافل توركواس[١٨]، يسرع بركوبته عبر الغطاء النباتي الأصفر في قاع البحر الميت، متجهًا نحو أنقاض مدينة آنتور القديمة.

لقد قطع مسرعًا مسافة طويلة في تلك الليلة؛ لأنه قادم بعد سرقة حاضنة القبائل الخضراء المجاورة التي كانت جحافل توركواس في حرب دائمة معها.

لم يكن حيوانه الثوات العملاق متهالكًا، لكن ثار بان فكر أنه من الجيد أن يسمح له بالرعي على الطحالب الصفراء التي تنمو إلى ارتفاع كبير داخل الساحات المحمية بالمدن مهجورة، حيث التربة أكثر ثراءً من تربة قيعان البحار، والنباتات محمية بالظلال جزئيًا من الشمس أثناء نهار المريخ الخالي من السحب.

يوجد داخل سيقان هذا النبات الصغير، الذي يبدو جافًا، قدرٌ من الرطوبة يكفي لتلبية احتياجات أجسام حيوانات الثوات القوية الضخمة، التي يمكنها العيش لعدة أشهر دون ماء، ولعدة أيام دون حتى ذلك القدر الضئيل من الرطوبة الذي يحتويه الطحلب الأصفر.

واصل ثار بان طريقه دون صوت عبر الطريق الواسع الذي يؤدي من أرصفة آنتور إلى الساحة المركزية الكبيرة. ربما يمكن بالخطأ تصوره هو وركوبته أشباحًا من عالم الأحلام، رجل ووحش غريبان، يسير الوحش بأقدامه المبطنة خالية من الأظافر دون إحداث صوت فوق

---

(١٨) توركواس: كانت قديمًا إحدى المدن القوية على المريخ، وأصبحت الآن مجرد إحدى تلك المدن الميتة- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Torquas* - المترجمة.

ممشى الرصيف القديم الذي تنمو عليه الطحالب.

كان الرجل نموذجًا رائعًا لعِرقه. يبلغ طوله خمس عشرة قدمًا من قدمه إلى رأسه. يتألق ضوء القمر على بشرته الخضراء اللامعة، وتتلألأ جواهر عتاده الثقيل والحلي التي تُثقل عضلات أذرعه الأربع، بينما أنيابه المقوسة التي تبرز من فكه السفلي تلمع بيضاء ومريعة.

تدلى على جانب حيوانه الثوات بندقيته الراديوم الطويلة ورمحه المعدني الكبير الذي يبلغ طوله أربعين قدمًا، بينما تدلى من عتاده سيفاه الطويل والقصير، فضلًا عن أسلحة أدنى.

وكانت عيناه الجاحظتان وأذناه اللتان تشبهان الهوائيات تدور باستمرار هنا وهناك؛ فقد كان ثار بان في بلد العدو، كما يتهدده أيضًا خطر القرود البيضاء الكبيرة، التي اعتاد جون كارتر أن يقول إنها المخلوقات الوحيدة التي يمكنها أن تثير في صدور أشرس سكان قيعان البحر الميت أبعد مظاهر الخوف.

توقف الراكب فجأة عند اقترابه من الساحة. أشارت أذناه المرهفتان الأنبوبيتان إلى الأمام على نحو صارم؛ فقد استقبلت صوتًا غير مرغوب. أصوات! حيثما توجد أصوات خارج توركواس، يوجد أعداء أيضًا. فعالم برسوم الواسع كله لا يضم سوى أعداء لقوم توركواس الشرسين.

ترجل ثار بار. وأخذ يقترب من الساحة، وهو يسير في ظلال كتل الأحجار الضخمة التي تصطف على طريق أرصفة مدينة آنتور النائمة. أتى خلفه مباشرة، في أعقابه مثل الكلب، حيوانه الثوات بلونه الرمادي الداكن وبطنه البيضاء التي يظللها جذعه، وأقدامه الصفراء الزاهية التي

يتداخل لونها مع الطحلب الأصفر أسفلها.

رأى ثار بان امرأة حمراء في وسط الساحة، يتحدث معها محارب أحمر. والآن، يعود الرجل أدراجه إلى القصر في الجانب الآخر من الساحة.

ظل ثار بان ينظر، إلى أن اختفى المحارب داخل البوابة. هذه أسيرة لها قيمتها، ويجدر الحصول عليها! فنادرًا ما تقع أنثى من أعدائهم المتوراثين في قبضة رجل أخضر. لعق ثان بان شفتيه الرفيعتين.

شاهدت ثوفيا ظل الرجل وراء الحجر المتراص عند فتحة الشارع المقابل، وتمنت أن يكون من نسج خيالها الـمُجهَد.

ولكن، كلا! فهي تراه الآن بوضوح وهو يتحرك. جاء من وراء المأوى الذي يضم البئر.

سقط عليه فجأة ضوء الشمس المشرقة. ارتعدت الفتاة؛ فقد أدركت أنه محارب أخضر ضخم!

انطلق نحوها بسرعة. صرخت وحاولت الفرار؛ وما إن استدارت متوجهة إلى القصر، حتى سقطت يد عملاقة على ذراعها، ووجدت الفتاة نفسها نصف مسحوبة ونصف محمولة نحو ثوات ضخم يرعى ببطء فوق طحلب الساحة الأصفر عند بداية الطريق.

وفي نفس اللحظة، أدارت وجهها إلى أعلى، نحو صوت طنين لشيء فوقها، وشاهدت طائرة سريعة تهبط نحوها، وبها رجل يميل برأسه وكتفيه على جانبها؛ لكن ملامحه كانت في الظل فلم تتعرف عليه.

تسمع الآن من خلفها صيحات مختطفيها الحُمر؛ حيث يسرعون بجنون وراء من تجرأ على سرقة ما سرقوه أصلًا.

عندما وصل ثار بان إلى جانب ركوبته، انتزع بندقيته الراديوم الطويلة من جرابها، وأطلق ثلاث طلقات على الرجال الحُمر القادمين نحوه.

هذا هو أسلوب الرماية الخارق الذي يتمتع به هؤلاء الهمج المريخيون؛ فقد سقط ثلاثة من المحاربين الحُمر مع انفجار القذائف الثلاث التي فتكت بهم.

توقف الآخرون، ولم يجرؤْ أحدهم على إطلاق النار خشية إصابة الفتاة.

امتطى ثار بان ظهر الثوات، وثوفيا لا تزال بين ذراعيه. ومع صرخة انتصار وحشية، اختفى أسفل الوادي الأسود الضيق عند طريق الأرصفة، بين القصور المتجهمة في مدينة آنتور المنسيّة.

لم تكن طائرة كارثوريس قد لمست الأرض قبل أن يقفز من سطحها ليلحق بالثوات السريع، الذي كانت سيقانه الثماني الطويلة تأخذه عبر الطريق بمعدل قطار سريع؛ لكن رجال دوسار الذين لا يزالون على قيد الحياة، لا يعقلون كيف يمكنهم السماح بهروب أسيرة ذات قيمة عالية منهم.

لقد خسروا الفتاة، وسيصعب تفسير ذلك لأستوك. ولكنهم قد يتوقعون تساهله معهم إذا أخذوا أمير هيليوم إلى سيدهم.

وهكذا، وجه الثلاثة الذين بقوا سيوفهم الطويلة نحو كارثوريس، وهم يطالبونه بالاستسلام؛ كأنما يطالبون القمر ثوريا بالتوقف عن اندفاعه المجنون في سماء برسوم. ذلك أن كارثوريس من هيليوم كان ابنًا بحق لأمير الحرب في المريخ وديجاه ثوريس التي لا يضاهيها أحد.

كان كارثوريس ممسكًا بسيفه الطويل بالفعل وهو يقفز من سطح طائرته. وفي نفس اللحظة التي أدرك فيها تهديد المحاربين الحُمر الثلاثة، استدار لملاقاة هجومهم بطريقة لا يقوم بها إلا جون كارتر نفسه.

مع سرعة سيفه وقوة ومرونة عضلاته، التي نصفها مريخي ونصفها من كوكب الأرض، سقط أحد خصومه، ملطخًا بدمائه القرمزية الطحلب الأصفر، ما إن خطا خطوة واحدة نحو كارثوريس.

يسرع الآن محاربا دوسار المتبقيان في وقت واحد نحو محارب هيليوم. لمعت السيوف الطويلة الثلاثة وهي تشتبك تحت ضوء القمر، إلى أن استيقظت القرود البيضاء الكبيرة من نومها، وتسللت إلى النوافذ المنخفضة في المدينة الميتة لترى المشهد الدموي في أسفل.

أُصيب كارثوريس ثلاث مرات. سالت الدماء الحمراء على وجهه، ولمست عينيه وصبغت صدره العريض. مسح الدماء عن عينيه بيده الحرة، ومست شفتيه ابتسامة والده المقاتلة، ثم قفز نحو خصومه بضراوة متجددة.

أطاحت ضربة واحدة من سيفه الثقيل برأس أحدهما. أما الآخر، فقد تراجع عن موقع الموت وفرَّ متوجهًا نحو القصر خلفه.

لم يسع كارثوريس وراءه. فقد كان ما يشغله أكبر من معاقبة غرباء يستحقونها، يتخفون بارتداء معدن بيته؛ حيث رأى أن هؤلاء الرجال المخادعين يضعون الشارة التي تميز أتباعه الشخصيين.

اتجه بسرعة نحو طائرته، وسرعان ما كان يرتفع محلقًا فوق الساحة سعيًا وراء ثار بان.

خرج المحارب الأحمر الهارب إلى مدخل القصر. وعندما أدرك نية كارثوريس، انتزع إحدى البنادق التي تركها هو وزملاؤه مائلة على الجدار عند إسراعهم بالسيوف لمنع سرقة أسيرتهم.

لا يجيد إطلاق النار سوى عدد قليل من الرجال الحُمر؛ لأن السيف هو سلاحهم المختار. لم يكن أمام محارب دوسار إلا توجيه طلقة نحو الطائرة الآخذة في الارتفاع، فضغط على زناد بندقيته. وكانت المصادفة -أكثر من الكفاءة- هي سبب نجاحه الجزئي في تحقيق هدفه.

أصابت القذيفة جانب الطائرة، انكسر الطلاء المعتم بما يكفي ليسمح لضوء النهار الوصول إلى قارورة المسحوق داخل مقدمة الرصاصة. حدث انفجار حاد، وشعر كارثوريس أن طائرته تترنح، ثم توقف المحرك.

اكتسب الزورق الجوي زخمًا حمله خارج المدينة، في اتجاه قاع البحر.

أطلق المحارب الأحمر في الساحة عدة طلقات أخرى، ولم تصب أي منها الهدف. ثم حجبت منارة سامقة الطائرة التي يطاردها عن مرأى بصره.

كان كارثوريس قادرًا أن يرى، على مسافة أمامه، المحارب الأخضر وهو يحمل ثوفيا بعيدًا فوق حيوانه الثوات القوي؛ متجهًا نحو شمال غرب مدينة آنتور، حيث يقع بلد جبلي غير معروف للرجال الحُمر.

وجه كارثوريس انتباهه الآن نحو طائرته الـمُصابة. وكشف فحص دقيق عن وجود ثقب في إحدى خزانات الطفو، لكن المحرك نفسه لم يتعرض للإصابة.

ألحقت شظية من القذيفة الضرر بأحدى روافع التحكم، التي يتعذر إصلاحها خارج ورشة الماكينات. على أن كارثوريس نجح، بعد عملية ترقيع كبيرة، في دفع طائرته المصابة للحركة بسرعة منخفضة، بمعدل لا يقترب من حركة الثوات السريعة، الذي تنقله أرجله الثماني الطويلة القوية عبر الغطاء النباتي في قاع البحر الميت بسرعة مذهلة.

استشاط أمير هيليوم غضبًا وشعر بالقلق من بطء حركة طائرته، إلا أنه كان شاكرًا أن الضرر لم يكن أسوأ؛ فحركته الآن أسرع على الأقل من سيره على قدميه.

لكنه سرعان ما أصبح محرومًا حتى من هذا الرضى الضئيل؛ فطائرته بدأت تترنح وتتجه بمقدمتها نحو الميناء. من الواضح أن الأضرار التي لحقت بخزانات الطفو كانت أخطر مما تصوره في البداية.

وخلال ما تبقى من ذلك اليوم الطويل، طاف كارثوريس عشوائيًا عبر الهواء الساكن، وزاد انخفاض مقدمة الطائرة، وأصبح الانحراف نحو الميناء ينذر بخطر أكبر، إلى أن حدث مع قرب الظلام، ومقدمة الطائرة متجهة لأسفل تقريبًا، أن شبك عتاده بحلقة ثقيلة على السطح،

مما حماه من التعجيل بالسقوط على الأرض أدناه.

اقتصرت حركته إلى الأمام على الانجراف البطيء مع النسيم اللطيف الذي يهب من الجنوب الشرقي. ومع توقف النسيم عند غروب الشمس، ترك طائرته تهبط برفق فوق البساط الطحلبي أدناه.

تلوح أمامه الآن الجبال التي فر تجاهها الرجل الأخضر عندما شاهده للمرة الأخيرة. اتخذ ابن جون كارتر، الذي يتمتع بإرادة والده التي لا تُقهر، قرارًا عنيدًا بمواصلة السعي سيرًا على الأقدام.

مضى قدمًا طوال الليل. ومع بزوغ فجر يوم جديد، دخل سفوحًا منخفضة لتلال تحرس الاقتراب إلى جبال توركواس الراسخة.

علت أمامه الجدران الجرانيتية الوعرة الشاهقة. لم يعرف كيف يمكنه تمييز فتحه عبر هذا الحاجز الهائل؛ لكن المرأة التي يرغبها قلبه قد حملها المحارب الأخضر إلى مكان ما في هذا العالم الحجري غير المضياف.

لا توجد آثار أقدام يمكن اقتفاؤها فوق الطحالب التي تنمو في قاع البحر؛ لأن أقدام حيوان الثوات الناعمة تضغط خلال حركتها السريعة على النباتات المرنة دون أن تترك أي أثر، حيث تظهر النباتات مرة أخرى بعد مروره وزوال تأثير ضغط الأقدام.

أما هنا في التلال، حيث تتناثر الصخور أحيانًا على الطريق، وحيث تحل جزئيًّا التربة الطفلية السوداء والزهور البرية محل الرتابة الكئيبة للأماكن القاحلة في الأراضي المنخفضة، كان كارثوريس يأمل أن يجد

أي علامة تقوده إلى الاتجاه الصحيح.

مع ذلك، يبدو محتملًا أن اللغز المحير بحثًا عن أثر أو علامة سوف يظل إلى الأبد دون حل.

كان اليوم يقترب من نهايته، عندما تبينت عيون كارثوريس الثاقبة اللونَ الأصفر المشوب بالسمرة لبشرة ملساء تتحرك بين الصخور على مسافة عدة مئات من الياردات إلى يساره.

ربض كارثوريس بسرعة خلف صخرة كبيرة، ورأى الشيء الذي أمامه. كان أحد حيوانات البانث[١٩] الضخمة، أحد الأسود البرسومية الوحشية التي تجول التلال المقفرة في الكوكب الآخذ في الاحتضار.

كانت أنف المخلوق قريبة من الأرض. فمن الواضح أنه يقتفي أثر لحم من خلال الرائحة.

قفز الأمل إلى قلب كارثوريس عندما شاهد هذا الحيوان. فربما يكمن هنا حل اللغز. ربما يقتفي هذا الحيوان الجائع، آكل اللحوم البشرية، أثر الاثنين اللذين يبحث عنهما كارثوريس.

تسلل الشاب بحذر وراء الحيوان آكل لحوم البشر. تحرك الكائن على طول جرف عمودي، وهو يتشمم أثر غير مرئي، ويطلق بين الفينة

---

(١٩) البانث: حيوان مفترس شرس متعدد الأرجل، أصلع تقريبًا مثل جميع الحيوانات المريخية إلا من شَعر كثيف خشن كبير كالأسد حول رقبته السميكة. جسده طويل ورشيق، ويعتمد على عشر أرجل قوية؛ وفكاه الضخمان مجهزان بعدة صفوف من أنياب طويلة تشبه الإبرة، مثله مثل حيوانات الكالوت أو الكلاب المريخية؛ وفمه يصل إلى نقطة بعيدة خلف أذنيه الصغيرتين، بينما عيناه الخضراوان هائلتان وجاحظتان وتضيفان لمسة الرعب الأخيرة إلى مظهره الفظيع- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Banth* - المترجمة.

والأخرى الأنين المنخفض الذي يميز بانث الصيد.

تتبع كارثوريس المخلوق لبضع دقائق، ثم اختفى المخلوق بغموض فجأة كأنما ذاب في الهواء الرقيق.

نهض كارثوريس على قدميه. لن يُخدع مرة أخرى، كما خدعه الرجل من قبل. انطلق بوتيرة متهورة إلى المكان الذي شاهد فيه الوحش الضخم الهارب لآخر مرة.

لاح أمامه الجرف الحاد، ولم يجد على سطحه أي فتحة يمكن أن يدلف منها البانث الضخم. وكانت توجد بجوار كارثوريس صخرة صغيرة مسطحة، لا يزيد حجمها على سطح سفينة فضائية تسع عشرة رجال، ولا ترتفع أكثر من ضعف طوله.

هل يختبئ البانث خلفها؟ ربما اكتشف الوحش الرجل الذي يسير وراءه، ويتربص له الآن كفريسة سهلة.

استل كارثوريس سيفه الطويل، وتسلل بحذر حول الصخرة. لم يجد البانث هناك، لكنَّ شيئًا ما أثار دهشته أكثر مما لو وجد عشرين بانثًا.

وجد أمامه كهفًا مظلمًا فاغرًا فمه، يهبط في الأرض. من المؤكد أن البانث اختفى فيه. هل هذا عرينه؟ ألا يمكن أن تختفي في باطنه المظلم البغيض العديد من المخلوقات المخيفة وليس واحدًا فقط؟

لم يكن كارثوريس يعرف، ولم يهتم كثيرًا في ظل سيادة التفكير الذي يحفزه للمضي خلف المخلوق على ذهنه؛ فقد كان واثقًا أن

البانث تتبع الرجل الأخضر والأسيرة إلى هذا الكهف القاتم، وسيتبعه إلى الداخل أيضًا وعلى استعداد لأن يهب حياته للمرأة التي يحبها.

لم يتردد للحظة، كما لم يتقدم للدخول برعونة؛ لكنه استعد بسيفه ودلف بخطوات حذرة على الطريق المظلم. ومع تقدمه، أصبح الظلام الضبابي سوادًا لا يمكن اختراقه.



الفصل (٥)

العِرق ذو البشرة البيضاء

قاده النفق الغريب إلى أسفل على طول أرضية عريضة ملساء، ولذا أصبح كارثوريس مقتنعًا بأن هذه الطبيعة تخص بئرًا كان يتصور في البداية أنه كهف.

سمع صوت أنين منخفض متقطع لبانث في الأمام، والآن تصدر نبرة غريبة مماثلة من خلفه. لقد دخل بانث آخر في أعقابه!

لم يكن وضعه جيدًا على الإطلاق. لا تستطيع عيناه اختراق الظلام، حتى لتمييز يده أمام وجهه؛ بينما يعرف أن البانث يرى جيدًا على الرغم من غياب الضوء تمامًا.

لم تصل أصواتٌ أخرى إلى أذنيه غير هذا الأنين الكئيب، المتعطش للدماء، من الوحش الذي أمامه والوحش الذي خلفه.

قاده النفق مباشرة، من حيث دخل أسفل جانب الصخرة الأبعد من المنحدرات التي يستحيل تسلقها، إلى الحاجز الجبار الذي كان في حيرة من أمره لفترة طويلة.

والآن بدأت الأرضية تصبح مستوية تقريبًا، ثم لاحظ مكانًا لصعود تدريجي.

اقترب منه الوحش الخلفي، محاولًا دفعه بشكل خطير نحو الوحش الأمامي. عليه أن يشتبك الآن في معركة مع أحدهما، أو كليهما. أمسك سلاحه بقوة وصرامة.

يسمع الآن تنفس البانث الخلفي. لن يتمكن من تأخير المواجهة لفترة أطول.

لقد تأكد منذ فترة أن النفق يقوده أسفل المنحدرات إلى الجانب الآخر من الجدار، وكان يأمل أن يصل إلى الفتحة التي يضيئها القمر قبل أن يضطر إلى الاشتباك مع أي من الوحشين.

كانت الشمس تغرب عندما دخل النفق، وكان الطريق طويلًا بما يكفي ليتأكد أن الظلام يخيم الآن على العالم في الخارج. ألقى نظرةً وراءه. شاهد نقطتين متقدتين بالنار تلمعان في الظلام، على بُعد لا يزيد على عشر خطوات خلفه. وعندما التقت العيون الوحشية بعينيه، أصدر الوحش زئيرًا مخيفًا ثم بدأ هجومه.

إن مواجهة الضراوة المندفعة لهذا الجبل المتوحش، والوقوف بثبات أمام الأنياب البشعة التي يعرف أن اللعاب يسيل من بينها تعطشًا للدماء، على الرغم من أنه لا يراها، كان يتطلب أعصابًا فولاذية، ولكن هذه هي أعصاب كارثوريس الهيليومي.

كانت أعين الوحش مرشدًا لسيفه، وكانت قبضته على السيف

تماثل قبضه والده القوية. وجه سيفه الحاد نحو إحدى تلك الأعين المتقدة، حتى وهو يقفز بخفة إلى أحد الجوانب.

اندفع البانث الجريح نحوه بمخالبه، مُطلِقًا صرخة بشعة من الألم والغضب؛ ثم استدار ليعاود الهجوم. لكن كارثوريس رأى هذه المرة نقطة واحدة تلمع بكراهية نارية موجهة نحوه.

وجد سن السيف طريقه ثانية نحو هدفه الوامض. وترددت مرة أخرى أصداء صرخة الوحش المنكوب الفظيعة خلال النفق الصخري؛ صرخة صادمة مما تحمله من ألم، وحجمها الهائل يصم الأذان.

استدار الوحش ليهاجم مرة أخرى، لكن نقاط الإرشاد لم تعُد موجودة لتوجيه حركة السيف. سمع كارثوريس احتكاك القدمين المبطنتين على الأرض الصخرية، وعرف أن المخلوق يهاجمه ثانية، لكنه لم يستطع رؤية أي شيء.

على أنه إذا كان غير قادر على رؤية خصمه، فإن خصمه غير قادر أيضًا على رؤيته الآن.

قفز إلى النقطة التي اعتبرها مركز النفق تحديدًا، وهو ممسك بسيفه جاهزًا ليسدده نحو صدر الوحش. كان هذا كل ما يمكن أن يفعله، مع أمله في أن يصل نصل سيفه إلى قلب الوحش داخل هذا الجسم الضخم.

انتهى المخلوق بسرعة، إلى حد أن كارثوريس لم يصدق حواسه. فقد اندفع المخلوق بجسده القوي مارًا كالمجنون بجانبه. إما أن كارثوريس لم يضع نفسه في وسط النفق، أو أن البانث الأعمى أخطأ في حساباته.

على أن الجسم الضخم أخطأه بقدم فقط، وتابع المخلوق طريقه عبر النفق سعيًا وراء الفريسة التي قد استعصت عليه.

سار كارثوريس أيضًا في نفس الاتجاه. ولم يمض وقت طويل قبل أن يخفق قلبه فرحًا برؤية مخرج يضيئه القمر ويخرجه من هذا الطريق الطويل المظلم.

وجد أمامه تجويفًا عميقًا، محاطًا كليًّا بمنحدرات عملاقة. تناثرت أشجار ضخمة على سطح الوادي، وهو مشهد غريب بعيد تمامًا عن الممر المائي المريخي. كما اكتست الأرض نفسها بمرجة قرمزية رائعة، مملوءة برقعات لا حصر لها من الزهور البرية المذهلة.

كان جمال المشهد لا يُوصف، أسفل التألق البهي للقمرين، المشوب بغموض سحر غريب.

لم تتمكن عيناه من مشاهدة جمال الطبيعية سوى للحظة فقط؛ حيث تركزت على الفور تقريبًا نحو بانث ضخم يقف أمام جثة ثوات حديث القتل.

وقف الوحش الضخم، وعُرفه الأسمر المشوب بالصفرة ينتصب حول رأسه البشع، ينظر بثبات نحو بانث آخر ينطلق مهاجمًا بشكل عشوائيّ هنا وهناك، وهو يصرخ بشدة من الألم، ويطلق زئيرًا مروعًا يمتزج بين الكراهية والغضب.

سرعان ما خمّن كارثوريس أن الوحش الثاني هو الذي أصابه بسيفه بالعمى أثناء المعركة في النفق. لكن اهتمامه انصب على الثوات الميت

أكثر من الوحشين آكلي اللحوم.

كان العتاد لا يزال موجودًا فوق جسم هذا الثوات الضخم، وفكر كارثوريس في أن هذا هو الحيوان الذي كان يمتطيه المحارب الأخضر ومعه ثوفيا.

ولكن، أين الراكب وسجينته؟ ارتجف أمير هيليوم وهو يفكر في مصيرهما المحتمل.

اللحم البشري هو أكثر ما يشتهيه الأسد البرسومي الشرس، حيث يحتاج جسده الضخم وعضلاته العملاقة كميات هائلة من اللحوم.

يثير جسدان بشريان شهية المخلوق، ولذا بدا لكارثوريس من المرجح أن المخلوق قتل والتهم الرجل الأخضر والفتاة الحمراء. وربما ترك جثة الثوات الجبار ليلتهمها بعد أن يهضم الأجزاء البشرية طيبة المذاق من وليمته.

كان البانث الأعمى يهاجم ويرد هجوم بوحشية وبلا هدف، وتجاوز الآن مكان زميله المقتول حيث حمل النسيم الخفيف رائحة دماء جديدة إلى أنفه.

لم تعُد حركته عشوائية. مع ذيله الممدود وفكيه المملوءين بالرغوة، هاجم مباشرة كالسهم جسم الثوات والمخلوق التدميري الجبار الذي يقف وأقدامه الأمامية فوق الجانب الرمادي الداكن من الثوات، في انتظار الدفاع عن وليمته.

عندما كان البانث المهاجِم على مسافة عشرين خطوة من الثوات

الميت، أتاح القاتل مسافة لمهاجمة البشع، ثم قفز إلى الأمام قفزة جبارة لمواجهته.

نشبت معركة تفوق في رعبها معارك برسوم الحربية. وقف كارثوريس دون حِراك كأنما تعويذة سحرية أصابته، وهو يشاهد التمزيق المجنون، والزئير البشع الذي يصم الأذان، والهمجية العنيدة للوحشين الملطخين بالدماء. وعند انتهاء المعركة، كان رأسا وكتفا المخلوقين ممزقين إلى شرائط، ويرقدان وفك كل منهما الميت لا يزال مدفونًا في جسد الآخر. وهنا تمكن كارثوريس بقوة إرادته من التخلص من حالة السحر الذي شل حركته.

أسرع إلى جانب الثوات الميت، وبحث عن أي أثر للفتاة التي يخشى أنها شاركت الثوات مصيره، لكنه لم يكتشف أي شيء يؤكد مخاوفه.

بدأ، وخف عبء قلبه قليلًا، يستكشف الوادي. وما إن سار عشر خطوات، حتى لفت نظره لمعان حلي مرصعة بالجواهر فوق المرجة.

التقطها، وتبين من الوهلة الأولى أنها حلي لزخرفة شعر امرأة، وعليها شارة البيت الملكي في بتارث.

يا له من اكتشاف مشؤوم؛ فالدماء التي تلطخ مجوهرات الإطار لا تزال رطبة.

شعر كارثوريس بشبه اختناق مما تبادر إلى خياله من احتمالات رهيبة أثارها هذا المشهد. لكنه لم ولن يصدق.

من المستحيل أن تلقى هذه المخلوقة المتألقة مثل هذه النهاية البشعة. لا يمكن تصديق أن ثوفيا الرائعة كفت عن الوجود.

أمسك كارثوريس بالشيء اللامع الذي ارتدته ثوفيا، وثبته فوق عتاده المرصع بالجواهر، إلى الحزام الذي يمر عبر صدره حيث يدق أسفله قلبه الوفي، وجعل ارتداءه مقدسًا بالنسبة له.

مضى بعد ذلك في طريقه إلى قلب الوادي المجهول.

حالت الأشجار العملاقة في معظمها دون رؤيته إلا لمسافات محدودة. كان يقتنص أحيانًا لمحات للتلال الشاهقة التي تحد الوادي من كل جانب. وعلى الرغم من وضوحها تحت ضوء القمرين، فقد كان يعلم أنها تقع على مسافة بعيدة، وأن الوادي يمتد امتدادًا هائلًا.

واصل بحثه إلى منتصف الليل، إلى أن توقف فجأة الآن بعد أن سمع صوت أنين حيوانات الثوات يأتي من بعيد.

استرشادًا بضوضاء هذه الوحوش الغاضبة دائمًا، تحرك إلى الأمام عبر الأشجار إلى أن وصل أخيرًا عند سهل مستوٍ ليس به أشجار، ويوجد في وسطه مدينة جبارة ترتفع قبابها المصقولة وأبراجها ذات الألوان الزاهية.

شاهد الرجل الأحمر حول المدينة المسورة معسكرات ضخمة لمحاربين خُضر من قيعان البحر الميت. ترك عينيه تطوفان بعناية على المدينة، وأدرك أنه لا توجد هنا مدينة مهجورة من الماضي السحيق.

ما هذه المدينة إذنْ؟ لقد تعلم من دراسته أن هذا الجزء الذي لم

يحظ بالاستكشاف في برسوم، يضم الرجال الخُضر من قبيلة توركواس الشرسة، وأنهم اليد العليا، وأي رجل أحمر نجح حتى الآن في اختراق مدينتهم لم يعُد ثانية إلى عالم الحضارة.

أتقن رجال توركواس البنادق الضخمة، حيث أتاحت لهم قدرتهم الممتازة على الرماية صد الجهود الحثيثة القليلة التي بذلتها الأمم الحمراء القريبة لاستكشاف بلدهم عن طريق أساطيل السفن الفضائية الحربية.

كان كارثوريس على يقين أنه داخل حدود توركواس، لكنه لم يتصور أبدًا وجود مثل هذه المدينة الرائعة، كما أن سجلات الماضي لم تلمح حتى إلى مثل هذا الاحتمال؛ فالمعروف أن أهل توركواس يعيشون -مثل غيرهم من المريخيين الخُضر- داخل المدن المهجورة التي تتناثر على سطح الكوكب الآخذ في الاحتضار، ولم تقم أيضًا أي قبائل خضراء ببناء صرح واحد، ما عدا الحاضنات ذات الجدران المنخفضة التي تضم بيضهم حتى يفقس بفعل حرارة الشمس ويخرج الصغار.

يقع معسكر المحاربين الخُضر على بُعد خمسمائة ياردة تقريبًا من جدران المدينة. ولا يوجد بينه وبين المدينة أي مظهر لمتاريس أو مظاهر أخرى للحماية من نيران البنادق أو المدافع. والآن، فقي ضوء الشمس المشرقة، تمكن كارثوريس من رؤية العديد من الشخصيات تتحرك على طول قمة الجدار العالي، وعلى الأسطح وراءه.

كان متأكدًا أنهم بشر مثله، على الرغم من موقعهم الذي يبعد مسافة

كبيرة لا تتيح له التأكد من أنهم من العِرق الأحمر.

بدأ المحاربون الخُضر -بعد شروق الشمس مباشرة- إطلاق النار في اتجاه الأشخاص الذين يقفون فوق الجدار. فوجئ كارثوريس أنهم لم يردوا بنيران مقابلة، لكن سكان المدينة يسعون إلى مأوى من هذا القصف الغريب من جانب الرجال الخُضر، ولم تظهر أي علامة على الحياة خارج الجدار.

كان كارثوريس في مأواه بالأشجار التي تحيط بالسهل. وبدأ يدور حول الجزء الخلفي لخط الحصار، على أمل أن يرى ثوفيا في مكان ما، فحتى الآن لا يعتقد أنها ماتت.

كان عدم اكتشاف وجوده بمثابة معجزة؛ ذلك أن المحاربين الراكبين يتحركون باستمرار ذهابًا وإيابًا من المعسكر إلى الغابة. استمر اليوم طويلًا، ولا يزال كارثوريس يواصل سعيه الذي بدا عقيمًا. ومع اقتراب غروب الشمس، وصل أمام بوابة جبارة في جدار المدينة الغربي.

توجد هنا -على ما يبدو- القوة الرئيسة للقبيلة المهاجِمة. فقد أُقيمت منصة، وتمكن كارثوريس وهو جالس القرفصاء من رؤية محارب أخضر ضخم يُحيط به آخرون من نفس نوعه.

هذا إذنْ هورتان جور سيئ السمعة، جيداك توركواس؛ إنه الغول العجوز الشرس في نصف الكرة الجنوبي الغربي. فالمنصات لا تُقام في المعسكرات المؤقتة لجحافل برسوم الخُضر إلا للجيداك.

شاهد كارثوريس محاربًا أخضر آخر يشق طريقة إلى الأمام نحو

المنصة، ويسحب بجواره أسيرًا. وعندما تفرق المحاربون المحيطون للسماح لهما بالمرور، لمح كارثوريس الشخص الأسير.

قفز قلبه في ابتهاج؛ ثوفيا لا تزال حية!

تمالك كارثوريس نفسه بصعوبة كي لا يندفع نحو أميرة بتارث. كان حكيمًا، ويعرف أنه لمواجهة هذه الصعاب عليه ألا يضيع بلا جدوى أي فرصة في المستقبل لنجدتها.

شاهدها وهم يسحبونها إلى أسفل المنصة. ورأى هورتان جور يخاطبها. لم يتمكن من سماع كلمات هذا المخلوق، ولا رد ثوفيا. ويبدو أن ردها أغضب هذا الوحش الأخضر، إذ رآه كارثوريس يقفز نحو السجينة، ويوجه لها ضربة قاسية على وجهها بذراعه المزينة بطوق معدني.

جُنّ جنون ابن جون كارتر، جيداك كل الجيداك، وأمير الحرب في برسوم. وطاف أمام عينيه ذلك الضباب القديم، المشوب بحمُرة الدم، الذي سبق وأن طاف أمام أعين والده متوهجًا ضد عدد لا يُحصى من الأعداء.

استجابت بسرعة عضلاته التي ينتمي نصفها إلى كوكب الأرض، وحملته عبر قفزات هائلة تجاه الوحش الأخضر الذي ضرب المرأة التي يحبها.

لم يكن التوركواسيون ينظرون في اتجاه الغابة؛ فقد تركزت كل الأعين على الفتاة والجيداك، وجلجل صوت ضحكاتهم البشعة إعجابًا

بفطنة الإمبراطور الأخضر ردًّا على التماس السجينة للحرية.

قطع كارثوريس حوالي نصف المسافة بين الغابة والمحاربين الخُضر، ونجح عامل جديد في صرف انتباه المحاربين عنه.

فقد ظهر رجل فوق برج عال داخل المدينة المحاصرة، وأطلق من فمه المقلوب سلسلة من الصرخات المخيفة التي اجتاحت، بنبرتها الحادة المرعبة، جدران المدينة، فوق رؤوس المحاصرين، وعبر الغابة إلى أقصى حدود الوادي.

اخترق الصوت المخيف آذان الرجال الخُضر مرة، ومرتين، وثلاث مرات؛ ثم جاءت من بعيد، عبر الغابة الواسعة، صرخة رد حادة وواضحة.

لكنها لم تكن سوى الأولى؛ فقد ارتفعت صرخات وحشية مماثلة من كافة الأنحاء، حتى بدا العالم يرتعش من أصدائها.

نظر المحاربون الخُضر بعصبية في مختلف الاتجاهات. إنهم لا يعرفون الخوف، كما قد يعرفه رجال الأرض؛ لكن ثقتهم المعتادة في أنفسهم تهجرهم في مواجهة أي شيء غير مألوف.

وفجأة انفتحت على مصراعيها البوابة الكبرى في سور المدينة، أمام منصة هورتان جور. تدفق خلال البوابة مشهد غريب لم يسبق أن رآه كارثوريس من قبل، وتمكن خلال نظرة عابرة واحدة أن يلمح رماة السهام طوال القامة يتدفقون من البوابة وراء دروعهم البيضاوية الطويلة، وأن يلاحظ لون شعرهم الكستنائي المتدفق، وأن يدرك أن

الأشياء الهادرة التي تسير إلى جوارهم هي الأسود الشرسة في برسوم.

وصل كارثوريس إلى وسط التوركواسيين المندهشين، شاهرًا سيفه الطويل. وقعت عيناه بدايةً على عينَي ثوفيا التي كانت في ذهول، كأنما تنظر إلى جون كارتر نفسه؛ حيث يقاتل الابن بنفس طريقة قتال أبيه.

حتى ابتسامته كانت تماثل ابتسامة القتال الشهيرة لجون كارتر القادم من فيرجينيا. وذراع السيف! آه، نفس المهارة، والسرعة!

ساد الاضطراب والارتباك. أخذ المحاربون الخُضر يقفزون فوق ظهور حيوانتهم الثوات، التي تئن في هياج. وأصدرت حيوانات الكالوت هديرها الوحشي الأجش، تولول راغبة في قبض رقاب الأعداء القادمين.

كان ثار بار وشخص آخر إلى جانب المنصة أول مَن لاحظ قدوم كارثوريس. اِشتبك معهما كارثوريس من أجل الفتاة الحمراء، بينما سارع الآخرون إلى ملاقاة الضيف القادم من المدينة المحاصرة.

سعى كارثوريس إلى الدفاع عن ثوفيا، والوصول إلى جانب هورتان جور البشع انتقامًا للضربة التي وجهها للفتاة.

نجح في الوصول إلى المنصة، على جثث اثنين من المحاربين اللذين انضما إلى ثار بان ورفيقته لصد الرجل الأحمر المغامِر، عندما كان هورتان جور على وشك القفز منها إلى ظهر حيوانه الثوات.

تحول انتباه المحاربين الخُضر أساسًا إلى رماة السهام القادمين

من المدينة، وإلى حيوانات البانث الوحشية التي تسير بجوار لهم- إنها وحوش قاسية تُستخدم في الحرب، أكثر شراسةً بلا حدود من الكالوت الوحشية.

قفز كارثوريس إلى المنصة، آخذًا ثوفيا إلى جانبه، ثم تحول نحو الجيداك الذي يحاول المغادرة، وتحداه بغضب وطعنة سيف.

ما إن وخز سيف كارثوريس بشرة هورتان جور الخضراء، حتى استدار الثاني نحو خصمه مزمجرًا. وفي الوقت نفسه، طلب إليه اثنان من شيوخ القبائل أن يسرع لأنَّ هجوم سكان المدينة البيض كان يتطور إلى وضع أخطر مما توقعه التوركواسيون.

بدلًا من البقاء لمقاتلة الرجل الأحمر، توعده هورتان جور بأن يعود إليه بعد أن يتخلص من سكَّان المدينة المسورة المتغطرسين؛ ثم امتطى حيوانه الثوات وركض لمواجهة الرماة الذين يتقدمون بسرعة.

لحق المحاربون الآخرون بالجيداك، تاركين ثوفيا وكارثوريس وحدهما على المنصة.

نشبت معركة مرعبة في المساحة الواقعة بينهما وبين المدينة. اقتصر تسليح المحاربين البيض على الأقواس الطويلة ونوع من فؤوس الحرب قصيرة اليد. ولذا كانوا عاجزين تقريبًا أمام وحشية الرجال الخُضر الراكبين في الأحياء القريبة، بينما سهامهم الحادة كانت من على بُعد تماثل في إنجازها مقذوفات الراديوم لدى الرجال الخُضر.

وإذا كان المحاربون أنفسهم متفوقين، فالأمر يختلف بالنسبة

لحيوانات البانث الشرسة. فما إن اشتبك الجانبان، حتى قفزت المئات من هذه المخلوقات المروعة بين التوركواسيين، وجذبت المحاربين من فوق حيواناتهم الثوات، وأوقعت الثوات الضخمة نفسها، مما أثار ذعر الجميع أمامهم.

كانت أعداد المواطنين لصالحهم أيضًا؛ فكلما سقط محارب، اتخذ عشرات مكانه، في تدفق مستمر يصب من البوابة الكبرى في المدينة.

وهكذا، مع ضراوة البانث وتزايد أعداد الرماة، تراجع التوركواسيون أخيرًا، بحيث أصبحت الآن المنصة التي يقف فوقها كارثوريس وثوفيا تقع في وسط المعركة مباشرة.

بدت معجزة أن كليهما لم يُصب برصاصة أو سهم. وأخيرًا، تجاوزهما الطوفان بحيث أصبحا يقفان بمفردهما بين المقاتلين والمدينة، باستثناء الموتى والمحتضرين ونحو عشرة من البانث الهادرين، الأقل تدريبًا من نظرائهم الذين أخذوا يطوفون بين الجثث سعيًا للحصول على اللحوم.

كان أغرب جزء من المعركة بالنسبة لكارثوريس هو حصيلة الرماة الهائلة التي حصدتها أسلحتهم الضعيفة نسبيًّا. لم يشهد في أي مكان رجلًا أخضر جريحًا، لكن جثث موتاهم ملأت ميدان المعركة.

يبدو أن الموت يلي مباشرة أقل طعنة من سهام الرماة، كما يبدو أنهم لا يُخطئون أهدافهم أبدًا. ربما لا يوجد سوى تفسير واحد، أن رؤوس السهام مُسممة.

اختفت الآن أصوات النزاع في الغابة البعيدة. ساد الهدوء، ولم يشقه سوى صوت هدير البانث وهي تلتهم فرائسها. التفت كارثوريس نحو ثوفيا. لم يتحدثا حتى الآن.

سألها: «ثوفيا، أين نحن؟».

نظرت الفتاة نحوه باستغراب؛ فوجوده ذاته يُعلن عن أنه مذنب ويعرف باختطافها. وإلَّا كيف عرف وجهة الطائرة التي أحضرتها هنا!

ردت على سؤاله بسؤال: «مَن يعرف أفضل من أمير هيليوم؟ ألم يأت هنا بإرادته الحرة؟».

أجابها: «جئت طوعًا من آنتور وراء الرجل الأخضر الذي اختطفك يا ثوفيا؛ لكنني منذ أن تركت هيليوم إلى أن استيقظت في آنتور، تصورت أنني متجهًا إلى بتارث».

ثم أوضح ببساطة: «كانت هناك تلميحات بأنني مذنب باختطافك، ولذا أسرعت إلى والدك الجيداك لإقناعه بزيف هذه التهمة، وأعرض خدماتي للعثور عليك. ولكن، قبل أن أغادر هيليوم، عبث شخص ما ببوصلة طائرتي، فحملتني إلى آنتور بدلًا من بتارث. هذا كل شيء. هل تصدقينني؟».

صاحت: «لكنَّ المحاربين الذين اختطفوني من الحديقة! بعد أن وصلنا إلى آنتور، كانوا يرتدون معدن أمير هيليوم. عندما أخذوني، كانوا يرتدون عتاد دوسار. لا يوجد سوى تفسير واحد. إن مَن تجرَّأ على القيام بذلك، كان يود وضع المسؤولية على شخص آخر، إذا ما تم

اكتشاف تورطه في هذا العمل؛ وما إن ابتعد بأمان عن بتارث، حتى شعر بالأمان في أن يعود أتباعه إلى ارتداء عتادهم».

سألها: «أتعتقدين يا ثوفيا أنني قمت بذلك؟».

أجابت بحزن: «آووه يا كارثوريس، لا أود أن أصدِّق ذلك؛ وحتى إذا أشار كل شيء نحوك- فلن أصدق أيضًا».

قال: «لم أفعل ذلك يا ثوفيا. واسمحي لي أن أكون صادقًا تمامًا معكِ. بقدر ما أحب والدكِ، وبقدر ما أحترم خطيبكِ كولان تيث، علاوةً على معرفتي بالنتائج المخيفة التي تترتب على قيامي بذلك، بما فيها نشوب حرب بين ثلاثة من أكبر أمم برسوم- وعلى الرغم من كل هذا، لم أكن لأتردد في أن آخذكِ بهذه الطريقة يا ثوفيا، إذا ألمحتِ حتى بأن هذا لن يزعجكِ».

وأنهى كلامه بمرارة قائلًا: «لكنكِ لم تقومي بأي شيء من هذا النوع. وها أنا هنا، ليس من أجل نفسي، وإنما لخدمتكِ وخدمة الرجل الذي قطعتِ له وعدًا. أنا هنا لأنقذكِ من أجله، إذا كان في مقدوري أن أفعل ذلك».

نظرت ثوفيا إلى وجهه لعدة دقائق، وصدرها يرتفع وينخفض كأنما تنتابها مشاعر يتعذر مقاومتها. خطت نصف خطوة في اتجاهه. فتحت شفتيها كأنما لتتكلم، بسرعة واندفاع.

لكنها تغلبت على المشاعر التي حركتها.

وقالت ببرود: «يجب أن تمثل أفعال أمير هيليوم في المستقبل دليلًا على صدق غرضه».

جرحت نبرة الفتاة كارثوريس، بقدر ما جرحه الشك في صدقه الذي انطوت عليه كلماتها.

كان يأمل أن تلمح له بأنها تقبل حبه- فهو يستحق بالتأكيد قدرًا ضئيلًا على الأقل من الامتنان لأفعاله الأخيرة من أجلها؛ لكن أفضل ما حصل عليه هو شكوك باردة.

هز أمير هيليوم كتفيه العريضتين. لاحظت الفتاة ذلك، كما لاحظت الابتسامة البسيطة التي مست شفتيه، بحيث أصبح دورها الآن لتشعر أنه جرحها.

بالطبع لم تكن تقصد أن تجرحه. ربما عرف أنها لا تقدر على فِعل أي شيء لتشجيعه بعد ما قاله! لكنه لم يكن بحاجة إلى إظهار عدم الاكتراث بهذا الوضوح. يشتهر رجال هيليوم ببسالتهم، وليس بفظاظتهم؛ ربما كانت دماء كوكب الأرض التي تتدفق في عروقه.

كيف لها أن تعرف أن هز الكتفين طريقة كارثوريس لمحاولة، بجهد بدني، إخفاء الحزن الذي يمزق قلبه، أو أن الابتسامة على شفتيه هي ابتسامة والده القتالية التي تُعتبر بمثابة دليل خارجي على أن الابن عازم على كبت حبه العظيم خلال جهوده لإنقاذ ثوفيا من أجل رجل آخر؛ لأنه يعتقد أنها تحب هذا الرجل الآخر!

عاد الآن إلى سؤاله الأصلي.

وسألها: «أين نحن؟ أنا لا أعرف».

أجابت: «لا أعرف أنا أيضًا. مَن خطفوني من بتارث، كانوا

يتحدثون عن آنتور. ولذا أعتقد أن المدينة القديمة التي أخذوني إليها كانت تلك الأطلال الشهيرة. لكنني لا أعرف أين نحن الآن».

قال كارثوريس: «عندما يعود الرماة، سنعرف دون شك كل ما يمكن معرفته. لنأمل أن يتسموا بالود. تُرى ما هذا العِرق؟ لا يوجد سوى في أقدم أساطيرنا وفي اللوحات الجدارية بالمدن المهجورة في قيعان البحر الميت تصوير أو وصف لهذا العِرق من الناس ذوي الشعر الكستنائي والبشرة البيضاء. هل عثرنا على مدينة لا تزال على قيد الحياة من تلك المدن القديمة التي يتصور الجميع في برسوم أنها اندفنت عبر العصور؟».

كانت ثوفيا تنظر نحو الغابة، حيث اختفى الرجال الخُضر والرماة الذين يطاردونهم. جاء من مسافة بعيدة صراخ حيوانات البانث البشعة، وصوت طلقات نارية متقطعة.

قالت الفتاة: «من الغريب أنهم لم يعودوا».

أجابها كارثوريس في عبوس وحيرة: «توقعت أن أرى الجرحى يعودون إلى المدينة وهم يعرجون أو يحملهم رفاقهم. وماذا عن الجرحى الأقرب إلى المدينة؟ هل حملوهم إلى داخل المدينة؟».

أدار الاثنان أعينهم نحو الميدان الذي يقع بينهما وبين المدينة المسورة، حيث كان القتال على أشده.

كانت هناك حيوانات البانث، لا تزال تهدر حول وليمتها البشعة.

نظر كارثوريس إلى ثوفيا في دهشة، ثم أشار نحو الميدان.

وهمس قائلًا: «أين هم؟ ماذا أصاب قتلاهم وجرحاهم؟».

الفصل (٦)

جيداك لوثار

بدت الفتاة في ذهول.

وتمتمت قائلة: «ها هم، في أكوام. كان هناك الآلاف منهم منذ دقيقة واحدة».

فقال كارثوريس: «والآن، لم يتبقَّ سوى حيوانات البانث وجثث الرجال الخُضر».

علقت الفتاة: «لا بد أنهم أرسلوها، بينما كنا نتحدث، لحمل جثث الرماة القتلى».

أجابها كارثوريس: «مستحيل! كان آلاف القتلى هناك عند الحقل منذ دقيقة. وتتطلب إزالتهم ساعات عديدة. هذا شيء خارق للطبيعة».

قالت ثوفيا: «تمنيت أن قد نجد مأوى مع هؤلاء الناس ذوي البشرة البيضاء. فعلى الرغم من بسالتهم في ميدان المعركة، لم يوجهوا لي أي ضربة، وهم شعب شرس أو محب للحرب. لقد كنت على وشك الاقتراح أن نسعى إلى مدخل المدينة، لكنني الآن لا أعرف إذا ما كنت أغامر في ظل أناس تتلاشى جثث قتلاهم في الهواء».

أجابها كارثوريس: «دعينا نخوض هذه التجربة. فلن يكون الوضع داخل جدرانهم أسوأ من خارجها. وهنا قد نقع فريسة البانث، أو التوركواسيين الذين لا يقلون شراسة. وعلى الأقل، سنجد هناك كائنات تُشبهنا».

ثم أضاف: «على أن سبب ترددي هو خطورة أن آخذك وسط كل هذا العدد من حيوانات البانث. فلن يتغلب سيف واحد إذا هجم اثنان منهم في نفس الوقت».

ابتسمت الفتاة وهي تقول: «لا تخف من هذه النقطة، فالبانث لن يضر بنا».

نزلت من المنصة وخطت دون خوف، وكارثوريس إلى جانبها، خارج الميدان الدموي في اتجاه مدينة الغموض ذات الأسوار.

وبعد أن سارا مسافة قصيرة، لمحهما أحد حيوانات البانث التي تبحث عن وليمة دموية. سارع الوحش نحوهما وهو يزأر بغضب، وحذت حذوه عشرات أخرى من حيوانات البانث.

امتشق كارثوريس سيفه الطويل. ألقت الفتاة نظرة سريعة على وجهه، وشاهدت تلك الابتسامة على شفتيه، كأنها نبيذ مهدئ للأعصاب العليلة. ففي برسوم المولعة بالحرب، حيث يتمتع جميع الرجال بالشجاعة، تسرع النساء إلى اللا مبالاة الهادئة إزاء الخطر لدرء الوحشية دون كلام منمق.

قالت: «يمكنك إعادة سيفك. قلت لك إن البانث لن يضر بنا. انظر!»، ثم أسرعت في اتجاه أقرب حيوان.

كان كارثوريس على وشك أن يقفز لحمايتها، لكنها أشارت بإيماءة أن يتراجع. سمعها تتحدث مع البانث بصوت منخفض رخيم، يشبه الخرير.

وعلى الفور ارتفعت الرؤوس الضخمة وتوجهت جميع الأعين الشريرة نحو الفتاة؛ ثم بدأت تتحرك خلسة في اتجاهها. توقفت الفتاة الآن، ووقفت في انتظارهم.

تردد الحيوان الأقرب من الآخرين؛ فتحدثت إليه بغطرسة، كما يتحدث سيد مع كلب عنيد.

أحنى آكل اللحوم الضخم رأسه، وتحرك ببطء وذيله بين أقدامه إلى أن وصل أمام قدمي الفتاة، وبعده جاء الآخرون حتى أصبحت محاطةً تمامًا بهؤلاء الوحوش آكلي لحوم البشر.

استدارت وقادتهم إلى حيث يقف كارثوريس. زمجروا قليلًا عند اقترابهم منه، لكن عددًا قليلًا من الأوامر أوقفهم عند حدهم.

سألها كارثوريس متعجبًا: «كيف تفعلين ذلك؟».

أجابت: «سألني والدك ذات يوم هذا السؤال نفسه عند قاعات المنحدرات الذهبية في جبال أوتز، تحت معابد الثيرن. لم أستطع إجابته، ولا أستطيع إجابتك. فلا أعرف من أين أتتني هذه القدرة للسيطرة عليهم، ولكن منذ اليوم الذي ألقاني فيه ساتور ثروج بينهم في حفرة البانث التابعة للثيرن المقدسين، وهذه المخلوقات الضخمة تتودد لي بدلًا من أن تلتهمني؛ ولديَّ دائمًا هذه السلطة الغريبة عليهم. إنهم

يأتون عندما أدعوهم وينفذون أوامري، كما ينفذ الكلب وولا الوفي أوامر والدك الجبار».

تمكنت الفتاة بكلمة واحدة من تفريق هذه المجموعة الشرسة من الحيوانات. عادوا هادرين إلى وليمتهم، بينما سار كارثوريس وثوفيا بينهم في اتجاه المدينة المسورة.

مع تقدمهما للأمام، نظر الرجل بتعجب إلى جثث الرجال الخُضر الذين لم تلتهمها حيوانات البانث.

لفت انتباه الفتاة إليهم. لا توجد سيوف تبرز من الجثث الضخمة، ولا توجد على أي منهم علامة على جرح مميت، ولا حتى أدنى خدش أو كشط.

قبل اختفاء جثث الرماة القتلى، كانت جثث التوركواسيين مملوءة بسهام خصومهم القاتلة. أين ذهبت السهام، وهي رُسُل الموت النحيلة؟ وما اليد الخفية التي اقتلعتهم من جثث القتلى؟

بالكاد ما تمكن كارثوريس من كبت قشعريرة الخوف التي انتابته وهو يحدق نحو المدينة الصامتة أمامهما. لم تعُد تظهر أي علامة على الحياة فوق الجدار أو السطح الأعلى. كان كل شيء هادئًا هدوءًا مكتئبًا، لا تُحمد عقباه.

لكنه كان على يقين أن أعينًا تشاهدهما من مكان ما خلف ذلك الجدار المصمت.

ألقى نظرة نحو ثوفيا. كانت تتقدم بأعين واسعة مثبتة على بوابة

المدينة. نظر إلى الاتجاه الذي تنظر إليه، لكنه لم يرَ أي شيء.

ويبدو أن نظرته نحوها كأنما أيقظتها من سباتها. نظرت إليه، ولمست ابتسامة سريعة وشجاعة شفتيها. اقتربت منه بعد ذلك، كأنما تتصرف بشكل لا إرادي، ووضعت إحدى يديها في يده.

خمّن كارثوريس أن شيئًا ما داخلها، خارج سيطرتها الواعية، يلتمس منه الحماية. ألقى بذراعه حولها، وعبرا الميدان. لم تبتعد عنه. وربما لم تدرك التفاف ذراعه حولها؛ فقد استغرقها غموض المدينة الغريب أمامها.

توقفا أمام البوابة. كانت جبارة. خمّن كارثوريس من بنيتها أنها ترجع إلى عصور قديمة لا يمكن تصورها.

كانت دائرية، تغلقها فتحه دائرية. يعرف كارثوريس من دراسته للعمارة القديمة في برسوم أنها تدور إلى جانب واحد، مثل عجلة ضخمة، نحو فتحه في الجدار.

لم يكن أحد يتصور حتى وجود مدن العالم القديم، مثل آنتور القديمة، عندما عاشت الأعراق التي بنت مثل هذه البوابات.

وبينما وقف يتكهن هوية هذه المدينة المنسيّة، تحدث إليهما صوت آت من فوق. نظر كلاهما إلى أعلى، وشاهدا رجلًا يميل على حافة الجدار العالي.

كان شعره كستنائي اللون، وبشرته بيضاء، أفتح حتى من بشرة جون كارتر القادم من فرجينيا. كانت جبهة الرجل عالية، وعيناه كبيرتين، وذكيًا.

استخدم الرجل لغة مفهومة لكليهما. مع ذلك، هناك فارق ملحوظ بينها وبين لغتهم البرسومية.

سأل: «مَن أنتما؟ وماذا تفعلان هنا أمام بوابة لوثار؟».

أجاب كارثوريس: «إننا أصدقاء. هذه هي الأميرة ثوفيا من بتارث، ألقى التوركواسيون القبض عليها. وأنا كارثوريس من هيليوم، أمير بيت تاردوس مورس، جيداك هيليوم، وابن جون كارتر، أمير الحرب في المريخ، وزوجته ديجاه ثوريس».

كرر الرجل: «بتارث؟»، ثم هز رأسه قائلًا: «هيليوم؟ لم أسمع أبدًا عن هذه الأماكن، كما لم أكن أعرف بوجود عِرق بهذا اللون الغريب يعيش في برسوم. أين تقع هذه المدن التي ذكرتها؟ لم نرَ من أعلى برج لدينا أي مدينة أخرى غير لوثار».

أشار كارثوريس نحو الشمال الشرقي.

وقال: «تقع كل من هيليوم وبتارث في هذا الاتجاه. تبعد هيليوم بأكثر من ثمانية آلاف هاد عن لوثار، بينما تقع بتارث على بُعد تسعة آلاف وخمسمائة هاد شمال شرق هيليوم»[٢٠].

---

(٢٠) في برسوم، 'أد' هو أساس القياس الخطي، وهو يعادل مسافة قدم على كوكب الأرض، أي حوالي ١١,٦٩٤ بوصة بقياسات كوكب الأرض. وكما هي عادتي في الماضي، قمت بترجمة رموز برسوم حول الزمن والمسافة، ... إلخ، إلى ما يعادلها على كوكب الأرض حتى يفهمها بسهولة القراء على كوكب الأرض. أما بالنسبة للمولعين بمزيد من الدراسة، فمن المثير للاهتمام التعرف على جدول القياس الخطي المريخي، وهو على النحو التالي: ١٠ سوفاد=١ أد؛ ٢٠٠ أد= ١ هاد؛ ١٠٠ هاد= ١ كاراد؛ ٣٦٠ كاراد= محيط المريخ عند خط الاستواء. ويعادل الهاد، أو الميل البرسومي، حوالي ٢,٣٣٩ قدمًا بمقاييس كوكب الأرض. والكاراد يعادل درجة واحدة. والسوفاد يعادل حوالي ١,١٧ بوصة بمقاييس كوكب الأرض.

هز الرجل رأسه.

وقال: «أنا لا أعرف أي شيء وراء تلال لوثار. لا يعيش أي شيء إلا جحافل التوركواسيين الخُضر البشعة. لقد غزوا برسوم كلها، ما عدا هذا الوادي ومدينة لوثار. ونحن هنا نواجههم منذ عصور لا حصر لها، على الرغم من أنهم يجددون بشكل دوري محاولاتهم لتدميرنا. لا يمكنني تخمين من أين أتيتما، إلا إذا كنتما تنحدران من العبيد الذين أسرهم التوركواسيون في أزمان مبكرة عندما أخضعوا العالم الخارجي إلى عبوديتهم؛ فقد سمعنا أنهم أبادوا جميع الأعراق الأخرى ما عدا عِرقهم».

حاول كارثوريس أن يشرح أن التوركواسيين لا يحكمون سوى جزء صغير نسبيًّا من برسوم، وأن هذا يرجع فقط إلى أن مقاطعتهم لا تضم أي شيء يجذب العرق الأحمر. لكن الرجل اللوثاري لم يتصور وجود أي شيء خارج وادي لوثار غير أرض قفر غير مطروقة، تسكنها جحافل التوركواس الخضراء الشرسة.

وبعد مفاوضات كبيرة، وافق الرجل على دخولهم إلى المدينة. وخلال دقيقة، دارت البوابة التي تشبه العجلة إلى الوراء داخل فتحتها، ودخلت ثوفيا وكارثوريس إلى مدينة لوثار.

كان كل ما حولهم يدل على ثراء رائع. كانت واجهات المباني المواجهة للشارع بعد الجدار منحوتة بثراء؛ وتوجد حول النوافذ والأبواب حواف، باتساع قدم، من الأحجار الكريمة، والفسيفساء الراقية، أو ألواح من الذهب المطروق تحمل نقوشًا تصور ما قد يمثل

أجزاء من تاريخ هذا الشعب المنسيّ.

انتظرهم الرجل، الذي تحدثوا معه عبر الجدار، في الشارع لاستقبالهم. وتجمع حوله ما يقرب من مائة رجل أو أكثر من العِرق نفسه، يرتدون جميعًا ثيابًا فضفاضة، وليس لديهم لحى.

بدت عليهم شكوك خائفة وليس العداء. تابعت أعينهم القادمين الجدد، دون التحدث معهم على الإطلاق.

لاحظ كارثوريس أن جميع المواطنين غير مسلحين، كما لا توجد أي علامة على وجود جنود، على الرغم من المدينة كانت محاطة منذ وقت قصير بحشد من شياطين متعطشة للدماء.

وتساءل ما إذا كان جميع المقاتلين قد خرجوا معًا في جهد واحد لهزيمة العدو، تاركين المدينة دون حراسة. ولذا سأل مضيفهما.

ابتسم الرجل، وأجاب: «لم يغادر مدينتنا اليوم أي مخلوق سوى عشرات من البانث المقدسين».

صاح كارثوريس: «لكن الجنود، الرماة! رأينا آلافًا منهم يخرجون من هذه البوابة، ويكتسحون جحافل التوركواس ويلحقون بهم الهزيمة بالسهام القاتلة وبحيوانات البانث الشرسة».

لم تفارق الابتسامة وجه الرجل، وصاح، وهو يشير إلى أسفل، نحو شارع واسع أمامه: «انظر!».

نظر كارثوريس وثوفيا إلى الاتجاه الذي أشار إليه الرجل، وشاهدا جيشًا هائلًا من الرماة الذين يسيرون بشجاعة تحت ضوء الشمس،

ويتقدمون نحوهما.

صاحت ثوفيا: «آه! لقد عادوا من بوابة أخرى، أو ربما هؤلاء هم القوات التي بقيت للدفاع عن المدينة؟».

ابتسم الرجل مرة أخرى ابتسامته الغريبة، وقال: «لا يوجد جنود في لوثار، انظروا!».

تحول كارثوريس وثوفيا نحو الرجل وهو يتحدث، وعندما أدارا وجهيهما ثانية نحو الأفواج المتقدمة، اتسعت أعينهما في دهشة؛ إذا شاهدا الشارع الواسع أمامهما مهجورًا كالقبر.

همس كارثوريس: «وأولئك الذين خرجوا اليوم لمهاجمة الجحافل؟ كانوا أيضًا خياليين؟».

أومأ الرجل.

قالت ثوفيا بإلحاح: «ولكن سهامهم قتلت عددًا كبيرًا من المحاربين الخُضر».

أجاب اللوثاري: «لنذهب إلى تاريو. سيقول لكما ما يرى من الأفضل أن تعرفاه. فقد أخبركما بأمور أكثر».

تساءل كارثوريس: «مَن هو تاريو؟».

أجابه الرجل: «إنه جيداك لوتار». قادهما الرجل إلى طريق واسع، الطريق الذي شاهدا الجيش الوهمي يسير فوقه منذ لحظة.

ساروا لمدة نصف ساعة على طول طرق جميلة بين بنايات رائعة لم يشهد كلاهما مثلها من قبل. لم يشاهدا سوى عدد قليل من الناس.

ولاحظ كارثوريس المظهر المهجور للمدينة الجبارة.

وصلوا أخيرًا إلى القصر الملكي. رآه كارثوريس من على بُعد؛ ومع تخمينه لطبيعة المباني الرائعة، تعجب من أنه حتى هنا لا توجد سوى علامات قليلة على النشاط والحياة.

لا يوجد حتى حارس واحد أمام بوابة المدخل العظيم. وفي الحدائق أيضًا، التي يمكن أن يراها، لا توجد علامة على حياة وافرة تنبض داخل حرم الممتلكات الملكية مثلما يوجد في قصور الجيداك الحُمر.

قال مرشدهما: «هنا قصر تاريو».

نظر كارثوريس ثانية نحو القصر العجيب. فرك عينيه متعجبًا في ذهول، ثم نظر مرة أخرى. كلا! لا يمكن أن يكون مخطئًا. وقف أمام البوابة الضخمة عشرات الحراس. وفي الداخل، طوال الطريق المؤدي إلى المبنى الرئيس، اصطف الرماة على الجانبين. وانتشر الضباط والجنود في الحدائق، يتحركون بسرعة وجيئة وذهابًا، كأنما ينهمكون في واجباتهم.

ما طبيعة هؤلاء الناس الذين يمكنهم استحضار جيش من الهواء؟ ألقى نظرة نحو ثوفيا، التي شهدت أيضًا هذا التحول.

اقتربت منه أكثر، وهي ترتعش قليلًا.

وقالت هامسة: «ما هذا؟ إنه شيء خارق للطبيعة».

أجابها كارثوريس: «لا يمكن تفسيره إلا بأننا أصابنا الجنون».

نظر كارثوريس تجاه اللوثاري، ووجده مبتسمًا.

سأله، مشيرًا إلى الحراس: «أعتقد أنك قلت للتو أن لوثار ليس بها جنود. ما هذا؟».

أجابه الرجل: «يمكنك أن تسأل تاريو. اقتربنا من الوصول إليه».

لم يمض وقت طويل قبل دخولهم إلى غرفة طويلة يجلس رجل في أحد أطرافها على أريكة مترفة فوق منصة مرتفعة.

ومع اقتراب ثلاثتهم، نظر إليهم الرجل بعينين حالمتين ناعستين. توقف مرشدهم على بُعد عشرين قدمًا من المنصة، وهمس لثوفيا وكارثوريس أن يحذوا حذوه، وألقى بجسده دون تردد على الأرض، ثم نهض على يديه وركبتيه، وبدأ يزحف نحو أسفل العرش، ورأسه يتأرجح ذهابًا وإيابًا، وجسده يتلوى كما تفعل الكلاب عندما تقترب من سيدها.

نظرت ثوفيا بسرعة نحو كارثوريس. كان يقف منتصبًا، مرفوع الرأس، وأسلحته مطوية عبر صدره الواسع. وانحنت شفتاه بابتسامة متعجرفة.

تطلع الرجل على المنصة إليه باهتمام، بينما توجه نظر كارثوريس الهيليومي نحو وجهه مباشرة.

سأل الرجل الذي زحف على بطنه على الأرض: «مَن هؤلاء يا جاف؟».

أجاب جاف: «أوه، تاريو، يا أعظم جيداك، هذان هما الغريبان

اللذان جاءا مع جحافل التوركواس إلى بواباتنا، وقالا إنهما كانا أسيرين عند الرجال الخُضر. ويقولان حكايات غريبة عن مدن أبعد من لوثار».

قال تاريو آمرًا: «انهض يا جاف، وسلهما لماذا لا يُظهران الاحترام الواجب إلى تاريو».

نهض جاف وواجه الغريبين. وعندما شاهدهما واقفين، بدا الغضب على وجهه، وقفز في اتجاههما.

صرخ فيهما: «أيها المخلوقان! انخفضا! انخفضا على بطنيكما أمام آخر جيداك في برسوم!».



الفصل (٧)

الرماة الأشباح

عندما قفز جاف نحوهما، وضع كارثوريس يده على مقبض سيفه الطويل. توقفت اللوثاري. كانت الشقة الكبيرة فارغة إلا من الأربعة عند المنصة. وعندما تراجع جاف نتيجة لموقف الهيليومي التهديدي، وجد كارثوريس نفسه محاطًا بعشرات الرماة.

من أين ظهروا؟ بدت الدهشة على كارثوريس وثوفيا.

أخرج كارثوريس سيفه من غمده، وفي اللحظة نفسها جذب الرماة سهامهم الرفيعة إلى الخلف.

نهض تاريو قليلًا مستندًا على كوع واحد. شاهد للمرة الأولى هيئة ثوفيا بالكامل، التي كانت تختفي وراء كارثوريس.

«كفى!»، صاح الجيداك وهو يرفع يده آمرًا بالتوقف. لكن سيف كارثوريس، في هذه اللحظة نفسها، طعن أقرب خصومه بشراسة.

ما إن وصل حد سيفه القوي إلى هدفه، حتى تركه كارثوريس يسقط على الأرض، وتراجع إلى الخلف مذعورًا وعيناه متسعتان، واضعًا ظهر

يده اليسرى على جبينه. فلم يقطع سيفه سوى الفراغ، حيث اختفى خصمه، ولم يعُد هناك أي رماة في الغرفة!

قال تاريو، موجهًا كلامه إلى جاف: «من الواضح أنهما غرباء. لنحدد أولًا ما إذا كانت أهانتهما لنا عن علم، قبل أن نتخذ تدابير العقاب».

التفت إلى كارثوريس، لكن بصره طاف حول خطوط هيئة ثوفيا الرائعة، التي كان عتاد أميرة برسوم يبرزها أكثر منه يخفيها.

وسأل: «مَن أنت الذي لا تعرف آداب بلاط آخر جيداك؟».

أجاب: «أنا كارثوريس، أمير هيليوم. وهذه ثوفيا، أميرة بتارت. وفي بلاط آبائنا، لا يسجد الرجال أمام الملوك. منذ أن مزق الأبناء الأوائل جميع أطراف آلهتهم الخالدة، لا يزحف الرجال على بطونهم أمام أي عرش في برسوم. والآن، أتعتقد أن ابنه جيداك جبار وابن جيداك آخر يقبلان إذلال أنفسهما بهذا الشكل؟».

نظر تاريو نحو كارثوريس لفترة طويلة، ثم تحدث أخيرًا.

قال: «لا يوجد في برسوم أي جيداك آخر سوى تاريو. ولا يوجد أي عِرق آخر غير ذلك العِرق في لوثار، إلا إذا أضفينا تكريمًا على جحافل التوركواس بمثل هذه التسمية. اللوثاريون بشرتهم بيضاء، وأنت بشرتك حمراء. ولم تعُد هناك نساء في برسوم. ورفيقتك امرأة».

نهض قليلاً من الأريكة، ومال إلى الأمام وهو يشير بإصبع اتهام إلى كارثوريس.

وصاح بصوت عال: «أنت تكذب! كلاكما كاذب، كيف واتتكما الجرأة إلى الحضور أمام تاريو، آخر وأقوى جيداك في برسوم، لتأكيد ما تقولانه. يجب أن يدفع شخص ثمن ذلك. جاف، إن لم أكن مخطئًا، أنت مَن تجرأت باستخفاف على تبديد الوقت سدى، في ظل حُسن طبيعة جيداكك».

«خُذ الرجل، واترك المرأة. سنرى إن كان كلاهما كاذبًا. وفي وقت لاحق يا جاف، ستُعاقب على جرأتك. لم يتبق منا سوى عدد قليل، ولكن- يجب تغذية كومال. اذهب!».

رأى كارثوريس أن جاف يرتعد وهو يسجد مرة أخرى أمام حاكمه، ثم نهض واستدار نحو أمير هيليوم».

وقال: «تعال!».

صاح كارثوريس: «واترك أميرة بتارث هنا وحدها؟».

انحنى جاف مقتربًا من كارثوريس، وهمس قائلًا:

«اتبعني- لن يلحق بها أي ضرر، إلا القتل؛ وهو يستطيع القيام بذلك سواء بقيتما أو غادرتما. الأفضل أن نذهب الآن، ثق بي».

لم يفهم كارثوريس، لكنَّ شيئًا في إلحاح جاف طمأنه. وبالتالي، استدار ليذهب، ولكن ليس دون لمحة نحو ثوفيا حاول من خلالها أفهمها أن من مصلحتها أن يتركها.

ردت عليه بأن أدارت ظهرها تمامًا، لكن ليس دون إلقاء نظرة ازدراء جلبت اللون القرمزي لخديه.

تردد، لكن جاف أمسكه من رسغه.

وهمس له: «هيا! أو سيجلب الرماة ثانية، وما من مهرب هذه المرة، ألم تشاهد كيف أن سيفك عقيم في مواجهة الفراغ!».

استدار كارثوريس كُرهًا. وعندما غادرا الغرفة، التفت إلى رفيقه.

وسأله: «إذا كنت غير قادر على قتل الفراغ، كيف أخشى، إذنْ، أن يقتلني الفراغ؟».

أجابه جاف بسؤال: «ألم تشهد التوركواس يسقطون أمام الرماة؟».

أومأ كارثوريس.

«ستسقط أمامهم، دون فرصة واحدة للدفاع عن النفس أو الانتقام».

خلال حديثهما، توجه جاف ومعه كارثوريس إلى غرفة صغيرة في أحد أبراج القصر العديدة. ضمت الغرفة أرائك، وطلب جاف من كارثوريس أن يجلس.

ظل جاف يحدق في سجينه لعدة دقائق، وأدرك كارثوريس أنه يتفحصه.

وأخيرًا قال جاف: «أنا نصف مقتنع بأنك حقيقي».

ضحك كارثوريس.

وقال: «بالطبع أنا حقيقي. ماذا جعلك تشك في ذلك؟ ألا تراني، وتشعر بي؟».

أجابه جاف: «يمكنني أن أرى الرماة وأشعر بهم، لكننا جميعًا

نعرف أنهم غير حقيقيين».

ظهرت الحيرة على تعبيرات وجه كارثوريس، مع كل إشارة جديدة إلى الرماة الغامضين- جنود لوثار المتلاشين.

وسأل: «ما هم، إذنْ؟».

سأله جاف: «ألا تعرف حقًّا؟».

هز كارثوريس رأسه نافيًا.

قال جاف: «يمكنني أن أصدق تقريبًا أنك قلت لنا الحقيقة، وأنك أتيت فعلًا من جزء آخر من برسوم أو من عالم آخر. ولكن، قل لي، ألا يوجد في بلدك رماة يبثون الرعب في قلوب جحافل الرجال الخُضر وهم يقتلون ومعهم حيوانات البانث الشرسة في الحرب؟».

رد كارثوريس: «لدينا جنود. نحن من العِرق الأحمر كلنا جنود، ولكن ليس لدينا رماة للدفاع عنا، مثلكم. نحن ندافع عن أنفسنا».

صاح جاف متشككًا: «تخرجون ويقتلكم أعداؤكم!».

أجاب كارثوريس: «بالتأكيد. ماذا عن اللوثاريين؟».

قال جاف: «لقد رأيت بنفسك. نحن نرسل الرماة الذين لا يموتون، لا يموتون لأنهم بلا حياة، إنهم يوجدون فقط في خيال أعدائنا. إن عقولنا العملاقة هي بحق التي تدافع عنا، إذ ترسل فيالق من المحاربين الخياليين لكي تتجسد أمام عقل العدو».

«يراهم العدو، ويرى أقواسهم وهم يجذبونها إلى الخلف، ويرى سهامهم الرفيعة تنطلق بسرعة وبدقة دون خطأ نحو قلوبهم. ويموت

الأعداء، تقتلهم قوة الإيحاء».

صاح كارثوريس: «وماذا عن الرماة القتلى؟ قلت إنهم لا يموتون، لكني رأيت جثثهم مكدسة على أرض المعركة. كيف ذلك؟؟».

أجاب جاف: «هذا فقط لإضفاء واقعية على المشهد. نحن نرسل صور العديد من المدافعين عنا مقتولين، حتى لا يُخمن التوركواس أنه لا توجد بالفعل مخلوقات من دم ولحم تواجههم».

«وبمجرد أن تصبح تلك الحقيقة مزروعة في عقولهم، وهي نظرية العديد منا، لن يقعون فريسة لإيحاء السهام القاتلة؛ فكلما كان إيحاء الحقيقة أكبر، سيسود إيحاء أقوى- إنه قانون».

تساءل كارثوريس: «والبانث؟ هل هم أيضًا مخلوقات من وحي الخيال؟».

رد جاف: «بعضهم حقيقي. لم تكن الحيوانات التي رافقت الرماة سعيًا وراء التوركواس حقيقية. ومثلهم مثل الرماة، لا يعودون أبدًا. لكنهم، بعد تحقيق الغرض منهم، يتلاشون مع الرماة عندما تتأكد هزيمة العدو».

«أما الحيوانات التي بقيت حول الميدان؛ فهي حقيقية. فقد أطلقناهم كجامعي قمامة لالتهام جثث موتى التوركواسيين؛ وهذا شيء يطلبه الواقعيون بيننا. أنا واقعي. أما تاريو، فهو أثيري».

«يرى الأثيريون أنه لا يوجد شيء اسمه المادة؛ بل كل شيء في العقل. ويقولون إن أي منا لا يوجد إلا في مخيلة زملائه، بخلاف عقلية

غير ملموسة وغير مرئية».

«وفقًا لتاريو، إنها لضرورة أن نتوحد جميعًا في تخُيل عدم وجود توركواسيين موتى أسفل جدراننا، وبالتالي لن يوجدون، ولن نحتاج إلى البانث جامعي القمامة».

سأل كارثوريس: «إذنْ أنت لا تعتنق معتقدات تاريو؟».

أجاب اللوثاري «جزئيًا فقط. أنا أعتقد، بل في الواقع أعرف، أن هناك بعض المخلوقات الأثيرية بالفعل. تاريو واحد منها، أنا مقتنع بذلك. ليس له وجود إلا في خيال شعبه».

«إن خلافنا نحن جميع الواقعيين يكمن، بطبيعة الحال، في أن جميع الأثيريين ليسوا سوى نسج خيال. يؤكدون أن الطعام ليس ضروريًا، ولا يأكلون؛ لكن أي شخص يتمتع بأقل ذكاء بدائي، يجب أن يدرك أن الطعام ضرورة للمخلوقات الموجودة وجودًا فعليًا».

قال كارثوريس موافقًا: «نعم، مستعد أن أوافقك لأنني لم آكل أي شيء اليوم».

صاح جاف: «آه، عفوًا. تفضل وأشبع جوعك». وبحركة من يده أشار إلى مائدة وفيرة لم تكن موجودة منذ لحظة. كان كارثوريس متأكدًا من ذلك؛ لأنه فتش الغرفة بعينية بدقة عدة مرات.

واصل جاف: «من الجيد أنك لم تقع في أيدي الأثيريين؛ وإلا كنت ستقع فريسة الجوع بالفعل».

«ولكن»، صاح كارثوريس: «هذا ليس طعام حقيقي، إذ لم يكن هنا

منذ لحظة، والطعام الحقيقي لا يتجسد من الفراغ».

بدا الحرج على جاف.

وقال: «لا يوجد طعام أو ماء حقيقي في لوثار، كما لم يكن يوجد لعدد لا يحصى من العصور. إننا نعيش على ما تراه الآن منذ فجر التاريخ. وبالتالي يمكنك أن تعيش عليه».

صاح كارثوريس: «لكني تصورت أنك واقعي».

«بالطبع»، صاح جاف: «ما أكثر واقعية من هذه الوليمة الوافرة؟ هنا تحديدًا يكمن أكثر خلافاتنا مع الأثيريين. فهم يزعمون أنه من غير الضروري أن نتخيل الطعام؛ لكننا وجدنا أنه من أجل الحفاظ على الحياة يجب أن نجلس ثلاث مرات يوميًا لنأكل وجبات دسمة».

«من المفترض أن الطعام الذي يأكله الفرد يخضع لبعض التغيرات الكيميائية خلال عملية الهضم والامتصاص، والنتيجة بطبيعة الحال هي إعادة بناء الأنسجة التي أُهدِرت».

«ونحن نعرف جميعًا الآن أن العقل هو كل شيء، على الرغم من أننا قد تختلف في تفسير تجلياته المختلفة. يعتقد تاريو في عدم وجود شيء مثل المادة، وأن كل ما يوجد ينشأ من النسيج غير المادي للمخ».

«على أننا، نحن الواقعيين، نعرف أفضل. نحن نعلم أن العقل يتمتع بقدرة الحفاظ على المادة، حتى مع أنه قد لا يقدر على خلق المادة- وهذه المسألة الأخيرة لا تزال مفتوحة. وبالتالي، نحن نعرف أننا من أجل الحفاظ على أجسامنا المادية، يجب أن نجعل جميع أعضاء

أجسامنا تعمل بشكل صحيح».

«ونحقق ذلك عن طريق تجسيد أفكار الطعام، وتناول مثل هذا الطعام. نحن نمضغه، ونبتلعه، ونهضمه. وجميع أجهزة أجسامنا تعمل تمامًا كأنها تناولت طعامًا حقيقيًّا. وما النتيجة؟ ماذا يجب أن تكون النتيجة؟ تحدث التغييرات الكيميائية من خلال الإيحاء المباشر وغير المباشر على حد سواء، ونحن نعيش ونزدهر».

نظر كارثوريس إلى الطعام أمامه، وكان يبدو حقيقيًّا. رفع لقمة إلى شفتيه. شعر بوجود مادة بالفعل، ونكهة أيضًا. نعم، حتى شهيته خُدِعت.

نظر إليه جاف مبتسمًا، وهو يأكل.

وسأله: «أليست وجبة مُشبِعة تمامًا؟».

أجاب كارثويس: «نعم، يجب أن أعترف بذلك. ولكن أخبرني، كيف يعيش تاريو، وغيره من الأثيريين الذين يعتبرون الطعام غير ضروري؟».

حك جاف رأسه.

وأجاب: «هذا سؤال نناقشه كثيرًا. وهو أقوى دليل لدينا لعدم وجود الأثيريين؛ ولكن مَن قد يعرف غير كومال؟».

سأله كارثوريس: «مَن كومال؟ سمعت جيداكك يتحدث عنه».

انحنى جاف تجاه أُذن الهيليومي، ونظر حوله في خوف قبل أن يتحدث.

وهمس قائلًا: «كومال هو الجوهر. يعترف حتى الأثيريون بأن

العقل نفسه يجب أن يتمتع بمادة ليحيل مظهر المادة إلى تصورات الخيال. فإن لم يكن هناك شيء بحق كالمادة، فلا يمكن الإيحاء- فما لا يوجد، لا يمكن تخيله. هل تتابع كلامي؟».

أجاب كارثوريس بجفاف: «أتلمس طريقي».

واصل جاف: «لذا، فإن الجوهر يجب أن يكون مادة. وكومال هو جوهر كل شيء، وتصونه المادة. إنه يأكل. ولأكن صريحًا، إنه يأكل الواقعيين. وهذا عمل تاريو».

«يقول إنه بقدر ما نحافظ على أننا وحدنا حقيقيون، علينا كي نكون متسقين أن نعترف أننا وحدنا الغذاء السليم لكومال. في بعض الأحيان، مثل اليوم، نجد له طعامًا آخر. إنه مولع بالتوركواسيين».

سأل كارثوريس: «وهل كومال رجل؟».

أجاب جاف: «هو كل شيء، قلت لك. أنا لا أعرف كيف أشرحه لك بكلمات بحيث تفهم. هو البداية والنهاية. تنبع الحياة كلها من كومال، ما دامت المادة التي تغذي المخ بالخيال تشع من جسم كومال».

«إذا توقف كومال عن تناول الطعام، سوف تتوقف جميع أشكال الحياة على برسوم. لا يمكن أن يموت، لكنه قد يتوقف عن الطعام، ومن ثم، يشع».

صاح كارثوريس: «وهو يتغذى على الرجال والنساء الذين يؤمنون بمعتقدك؟».

صاح جاف: «نساء! لا توجد نساء في لوثار. لقد هلك آخر إناث

لوثار منذ عصور، خلال تلك الرحلة القاسية المروعة عبر السهول الطينية على حواف البحار نصف الجافة، عندما طاردتنا الجحافل الخضراء بقسوة عبر العالم إلى هنا، آخر مخبأ لدينا- قلعة لوثار المنيعة».

«لم يعش من ملايين عِرقنا العديدة سوى عشرين ألف رجل، تمكنوا من الوصول إلى لوثار. ولم يكن بيننا النساء أو أطفال؛ فقد لقوا حتفهم جميعًا خلال الطريق».

«وبمرور الزمن، بدأنا نحن أيضًا نموت، وأخذ عِرقنا يقترب بسرعة من الانقراض، عندما تكشفت لنا الحقيقة العظمى: أن العقل هو كل شيء. مات العديدون قبل أن نتمكن من قدراتنا. وأخيرًا، أصبحنا قادرين على تحدي الموت عندما أدركنا تمامًا أن الموت مجرد حالة ذهنية».

«ثم جاءت مرحلة إبداع عقل الناس، أو بالأحرى تجسيد التصورات المتخيلة. بدأنا أولًا استخدامها العملي عندما اكتشف التوركواسيون تراجعنا، ومن حسن حظنا أن الأمر احتاج منهم إلى عصور من البحث قبل أن يعثروا على مدخل ضيق وحيد لوادي لوثار».

«في ذلك اليوم، أرسلنا أول رماة لمواجهتهم. وكان القصد مجرد إخافتهم بتلك الأعداد الغفيرة من الرماة الذين يمكننا حشدهم فوق جدراننا. وقفت لوثار جميعها مع أقواس وسهام مضيفنا الأثيري».

«لكن التوركواسيين لم يخافوا. إنهم أدنى من البهائم، ولا يعرفون أي خوف. لقد هرعوا نحو جدراننا، ووقف كل منهم على أكتاف الآخر في محاولة لبناء طريق بشري يقود إلى قمم الجدار، وكانوا على وشك

الانقضاض علينا وسحقنا».

«لم ينطلق سهم من الرماة، بل جعلناهم يركضون جيئة وذهابًا على طول قمة الجدار وهم يصرخون بصيحات التهكم والتهديد ضد العدو».

«وحاليًا فكرت في محاولة الشيء- الشيء الأعظم. ركزت كل فكري الجبار على الرماة الذين خلقهم عقلي. أخذ كل منا ينتج ويوجه العديد من الرماة بقدر ما تتمكن عقليته وخياله».

«جعلتهم يضعون الأسهم في تلك الأقواس للمرة الأولى. وجعلتهم يستهدفون قلوب الرجال الخُضر. وجعلت الرجال الخُضر يرون كل هذا، ثم جعلتهم يرون الأسهم منطلقة، وجعلتهم يعتقدون أنها اخترقت قلوبهم».

«هذا كل ما كان ضروريًا. تساقطوا بالمئات من فوق الجدار. وعندما رأى زملائي ما فعلته، سارعوا بعمل نفس الشيء، ولذا تقهقرت حالًا جحافل التوركواس خارج نطاق سهامنا».

«كان يمكننا قتلهم على أي مسافة، لكن هناك قاعدة للحرب حافظنا عليها منذ البداية- سيادة الواقعية. نحن لا نفعل شيئًا، أو بالأحرى نحن نجعل الرماة لا يقومون بأي شيء في مرمى بصر العدو يتجاوز فهم العدو؛ وإلا قد يخمنون الحقيقة، وهذه ستكون نهايتنا».

«ولكن، بعد أن تراجع التوركواس بعيدًا عن مرمى السهام، عادوا ثانية وهاجمونا ببنادقهم الرهيبة وطلقاتها المستمرة التي أحالت حياتنا وراء الجدار إلى جحيم».

«وعندئذ فكرت في خطة لإخراج الرماة ودفعهم من خلال البوابات نحوهم. وأنت رأيت اليوم مدى نجاح الخطة. لقد ظلوا لعصور يهاجموننا على فترات متقطعة، ولكن النتائج لم تتغير».

سأله كارثوريس: «وكل هذا بسبب عقلك يا جاف؟ لا بد أنك تحتل مكانة عالية في مجالس شعبك».

أجاب جاف بفخر: «نعم، موقعي بعد تاريو مباشرة».

«إذنْ لماذا اتخذت طريق الزحف لتقترب من العرش؟».

«بناء على طلب تاريو. إنه يشعر تجاهي بالغيرة، وينتظر أدنى عذر لإلقائي كطعام إلى كومال؛ فهو يخشى أن انتزع سلطته في يومًا ما».

نهض كارثوريس فجأة من أمام المائدة، وقال صائحًا: «جاف! يا لي من حقير! فقد أشبعت جوعي، بينما أميرة بتارث ربما لم تتناول أي طعام حتى الآن. فلنعد ونبحث عن وسيلة ما لإمدادها بالطعام».

هز اللوثاري رأسه.

وقال: «تاريو لن يسمح بذلك. أعتقد أنه سيجعلها أثيرية، دون شك».

قال كارثوريس بإصرار: «لكن يجب أن أذهب لها. قلت إنه لا توجد نساء في لوثار. لا بد أنها الآن بين رجال، ولذا أود أن أكون بالقرب منها بحيث يمكنني الدفاع عنها إذا دعت الحاجة إلى ذلك».

أجابه جاف بإصرار: «تاريو سيعرف. لقد أبعدك، ولا يمكنك العودة إلى أن يرسل في طلبك».

«إذنْ سأذهب دون أن أنتظر أن يرسل في طلبي».

قال جاف محذرًا: «لا تنس الرماة».

أجابه كارثوريس: «لن أنساهم»؛ لكنه لم يخبر جاف أنه يتذكر شيئًا آخر قاله اللوثاري- شيء ربما كان مجرد تخمين، ومع ذلك يستحق أن يُعلق عليه أملًا يائسًا، إن اقتضت الضرورة.

بدأ كارثوريس مغادرة القاعة. خطا جاف أمام، ليسد طريقه.

وقال: «إنني مُعجب بك أيها الرجل الأحمر، ولكن لا تنس أن تاريو لا يزال الجيداك، وأمرني أن تبق هنا».

كان كارثوريس على وشك الرد، عندما تناهت إلى أذنيهما صرخة ضعيفة من امرأة طلبًا للمساعدة.

دفع أمير هيليوم ذراع اللوثاري، ونحاه جانبًا، ثم انطلق ممتشقًا سيفه إلى الممر خارج الغرفة.



الفصل (٨)

قاعة الموت

عندما شاهدت ثوفيا البتارثية أن كارثوريس يغادر غرفة تاريو، ويتركها مع الرجل بمفردها، استبد بها شعور مفاجئ بالرعب.

ساد جو من الغموض في الغرفة الفخمة. كان أثاثها وتجهيزاتها تنم عن الثراء والثقافة، ويوحي بأنها غالبًا ما كانت موقعًا لمهام ملكية.

مع ذلك لا يوجد حولها -في غرفة انتظار أو ممر- أي علامة على وجود شخص آخر غيرها وتاريو المضطجع، الجيداك، الذي نظر نحوها بعينين نصف مغلقتين وهو يتدثر بالأغطية رائعة الزخارف على الأريكة الملكية.

ظل الرجل ينظر نحوها لفترة، بعد أن غادر جاف وكارثوريس، ثم تحدث.

قال: «اقتربي». وعندما اقتربت قال: «أي مخلوق أنت؟ مَن الذي جرؤ على تجسيد تصوراته عن المرأة؟ هذا يتعارض مع العادات والفرمانات الملكية في لوثار. أخبريني، يا امرأة، من أي دماغ انطلقت من دماغ جاف؟ كلا، لا تنكري. أعرف أنه ليس من أي شخص آخر سوى هذا الحسود الواقعي. إنه يسعى لإغرائي. يريد أن يراني واقعًا

تحت سحر جاذبيتك، ثم يتولى سيدك توجيه مصيري و... نهايتي. أرى كل شيء! أرى كل شيء!».

علت دماء السخط والغضب على وجه ثوفيا. كان ذقنها مرتفعًا، وارتسمت ابتسامة متعجرفة على شفتيها الجميلتين.

وصاحت: «أنا لا أعرف أي شيء مما تقوله! أنا ثوفيا، أميرة بتارث، ولست من صنع أي 'مخلوق'. لم تقع عيناي من قبل على هذا الذي تسميه جاف، ولا على مدينتك السخيفة، التي لم تحلم بها أبدًا حتى أعظم أمم برسوم».

«جاذبيتي ليست لك، ولا لمثلك؛ وليست للبيع أو المقايضة، حتى لو كان السعر عرشًا حقيقيًا. وأما عن استخدام جاذبيتي للفوز بسلطتك التافهة...»، انتهت جملتها بهز كتفيها الرشيقين، وضحكة استهزاء قصيرة.

عندما أنهت كلامها، كان تاريو جالسًا على حافة الأريكة، وقدماه على الأرض، ويميل إلى الأمام بأعين لم تعد نصف مغلقة، وإنما اتسعت في ذهول.

يبدو أنه لم يلحظ ما انطوت عليه كلماتها وطريقتها من العيب في الذات الملكية. كان من الواضح أن هناك شيئًا آخر أكثر إدهاشًا وإلحاحًا في حديثها.

نهض على قدميه ببطء.

وتمتم قائلًا: «بأنياب كومال! لكنك حقيقية! امرأة حقيقية! لست أحلم! لست تصورات عابثة أو حمقاء من نسج العقل!».

اتخذ خطوة نحوها، ويداه ممدودتان.

همس: «تعالي!، تعالي يا امرأة!، أحلم من عددٍ لا يُحصى من العصور أنكِ ستأتين في يومٍ ما. والآن، وأنتِ هنا، لا أكاد أصدق ما تشهده عيناي. وحتى الآن وأنا أعرف أنكِ حقيقية، لا تزال تنتابني شبه رهبة أن تكوني كذبة».

تراجعت ثوفيا. ظنت أن الرجل مجنون. وضعت يدها خلسة على مقبض خنجرها المرصع بالجواهر. رأى الرجل هذه الخطوة، وتوقف. ظهر تعبير ماكر في عينيه، ثم أصبحتا على الفور حالمتين، وأخذتا تخترقان مخ الفتاة، بعد أن بدأ يتسرب إليه شعور بالضجر.

شعرت ثوفيا فجأة بتغيير يكتنفها. لم تستطع تخمين السبب. ولكن، على نحو ما، بدأ الرجل يبث افتراض علاقة جديدة داخل قلبها.

لم يعد عدوًا غريبًا وغامضًا، بل صديق قديم ومصدر ثقة. تراجعت يدها عن مقبض الخنجر. اقترب تاريو، متحدثًا بكلمات رقيقة وودية. أجابت عليه بصوت بدا صوتها، لكنه لشخص آخر.

أصبح بجانبها الآن. وضع يده على كتفها، ومالت عيناه نحوها. نظرت الفتاة إلى وجهه. يبدو أن نظرته المحدقة اخترقتها مباشرة إلى نبع خفي من المشاعر داخلها.

فتحت شفتيها في رهبة وتعجب مفاجئين حول كشفها الغريب عن ذاتها الداخلية التي ظهرت بوضوح أمام وعيها. إنها تعرف تاريو منذ زمن بعيد، وهو أكثر من صديق بالنسبة لها. اقتربت منه قليلًا. وفي

فيضان سريع من الضوء، عرفت الحقيقة. إنها تحب تاريو، جيداك لوثار! وكانت تحبه دائمًا.

رأى الرجل نجاح استراتيجيته، ولم يستطع منع ابتسامة ارتياح. هل ظهر شيء ما في تعبير وجهه، أو هل جاءها إيحاء أقوى من جانب كارثوريس في غرفة بعيدة بالقصر، مَن يعرف؟ لكنَّ شيئًا ما بدد فجأة التأثير المنوم الغريب للرجل.

وكأنما تمزق قناع من على عينيها، رأت ثوفيا فجأة تاريو كما كانت تراه سابقًا. ونظرًا لأنها على دراية بالتجليات الغريبة للعقلية شديدة التطور، التي كانت شائعة في برسوم، فقد أدركت سريعًا أنها في خطر محدق.

تراجعت بسرعة خطوة إلى الوراء، وحررت نفسها من قبضته. لكن الاتصال اللحظي أثار داخل تاريو جميع المشاعر المدفونة منذ فترة طويلة من وجوده بلا حب.

انطلق نحوها بصرخة مكتومة، وألقى ذراعيه حولها، وحاول سحب شفتيها نحو شفتيه.

صاح: «يا امرأة، إنكِ امرأة جميلة! تاريو يمكن أن يجعلكِ ملكة لوثار. أنصتي لي! أنصتي إلى حب آخر جيداك في برسوم».

جاهدت ثوفيا لتحرير نفسها من أحضانه.

صاحت: «توقف أيها المخلوق! أنا لا أحبك. توقف، وإلا سأصرخ طلبًا للمساعدة!».

ضحك تاريو في وجهها.

قلد طريقتها ساخرًا: «'سأصرخ طلبًا للمساعدة'، ومَن ذا الذي سيأتي من قاعات لوثار استجابةً لكِ؟ ومَن ذا الذي يجرؤ على الدخول إلى حضرة تاريو دون استدعاء؟».

ردت قائلة: «هناك شخص واحد سيأتي، وهو آت، ويجرؤ على تمزيقك فوق عرشك، إذا تصور أنك أهنت ثوفيا البتارثية!».

سألها تاريو: «مَن؟ جاف؟».

أجابته: «ليس جاف، وليس أي لوثاري أبيض أملس البشرة؛ وإنما رجل حقيقي، محارب حقيقي، إنه كارثوريس من هيليوم!».

ضحك الرجل مرة أخرى.

وقال لتذكيرها: «هل نسيتِ الرماة. ماذا يمكن أن يفعل محاربكِ الأحمر في مواجهة جحافلي التي لا تعرف الخوف؟».

أمسكها بقوة ثانية، وأخذ يجذبها نحو أريكته.

وقال: «إن لم تكوني ملكتي، ستكونين عبدتي».

صاحت الفتاة: «كلا، لا هذا ولا ذاك!».

حركت يدها اليمنى بسرعة، مع آخر كلمة قالتها؛ أفلتها تاريو من قبضته، وهو يترنح ويضغط بكلتا يديه على جانبه. وفي اللحظة نفسها، امتلأت الغرفة بالرماة ثم سقط جيداك لوثار فاقد الوعي على الأرضية الرخامية.

في لحظة أن فقد وعيه، كان الرماة على وشك إطلاق سهامهم إلى قلب ثوفيا. أطلقت ثوفيا لا إراديًا صرخة واحدة طلبًا للمساعدة، على الرغم من معرفتها أن كارثوريس نفسه لا يمكنه الآن إنقاذ حياتها.

أغلقت عينيها وانتظرت النهاية. لم يخترق أي سهم رفيع جانبها. فتحت جفناها لترى ما أوقف أيدي جلاديها.

كانت الغرفة فارغة إلا منها، ولا يزال جسد جيداك لوثار ملقًى أمام قدميها، واصطبغ الرخام الأبيض بجانبه بتجمع صغير من اللون القرمزي. كان تاريو فاقدًا للوعي.

اندهشت ثوفيا. أين الرماة؟ لماذا لم يُطلِقوا سهامهم؟ ما معنى هذا كله؟

كانت الغرفة منذ لحظة تمتلئ في ظروف غامضة برجال مسلحين، من الواضح أنه تم استدعاؤهم لحماية الجيداك؛ والآن، ومع رؤيتهم بوضوح لما فعلته، تلاشوا بنفس غموض مجيئهم، وتركوها بمفردها مع جسد حاكمهم، وبجواره خنجرها الطويل الحاد الذي أسقطته من يدها.

نظرت الفتاة حولها بقلق؛ لتبحث أولًا عن أي علامات على عودة الرماة، ثم عن وسائل للهروب.

وجدت مدخلين صغيرين يخترقان الجدار الواقع خلف المنصة، ويختفيان وراء ستائر ثقيلة. ركضت ثوفيا بسرعة نحو إحديهما، عندما سمعت قعقعة معدن محارب في نهاية الشقة خلفها.

آه، إذا كان لديها لحظة أخرى، لكانت وصلت إلى هذه الستائر المزركشة، وربما وجدت خلفها مصادفة سبيلًا للهرب؛ أما الآن، فقد فات الأوان، لقد تم اكتشافها!

وبشعور أقرب إلى اللا مبالاة، استدارت لتواجه مصيرها. وجدت

أمامها كارثوريس يتجه ناحيتها وهو يعبر الغرفة الواسعة بسرعة، حاملًا في يده سيفه الطويل اللامع.

لقد ظلت لأيام تشك في نواياه. تصورت أنه طرف في اختطافها. منذ أن جمعهما القدر وهي بالكاد ما تُبدي له أي استحسان أكثر من ردود تعوزها الحماسة على ملاحظاته، إلا في أوقات مثل تلك الأحداث الغريبة والخارقة في لوثار التي أدهشتها وأخرجتها من تحفظها.

إنها تعرف أن كارثوريس سيقاتل من أجلها؛ لكنها تشككت في ما إذا كان سينقذها من أجله أم من أجل الشخص الآخر.

كان يعلم أنها موعودة لكولان تيث، جيداك كاول، ولكن إذا كان له دور فعال في اختطافها، فدوافعه لا يمكن أن يحثها ولاؤه لصديقه، أو اعتباره لشرفها.

والآن، وهي تراه قادمًا عبر الأرضية الرخامية للقاعة العامة في قصر تاريو اللوثاري، وعيناه الجميلتان مملوءتان بالخوف على سلامتها، وهيئته الرائعة تجسد أفضل ما يتحلى به المقاتلون في المريخ، لا تستطيع أن تصدق وجود أقل علامة على الغدر تتخفى وراء هذا المظهر الخارجي الرائع.

لم تتصور أبدًا، طوال حياتها، أن رؤية أي رجل ستكون موضع هذا الترحيب لديها. وقد منعت نفسها بصعوبة من الاندفاع لملاقاته.

كانت تعرف أنه يحبها؛ لكنها أشارت في الوقت المناسب إلى أنها وعدت كولان تيث. ولم تكن تثق حتى في نفسها لإظهار امتنانها الكبير له، خشية أن يسيء فهمها.

كارثوريس بجانبها الآن. ألقى لمحة سريعة على المشهد داخل الغرفة: لا يزال جسد الجيداك ممددًا على الأرض، والفتاة تسرع نحو مخرج خفي.

سألها: «هل ألحق بكِ أي ضرر يا ثوفيا؟».

حملت خنجرها القرمزي حتى يراه.

وقالت: «كلا، لم يلحق بي أي ضرر».

أضاءت ابتسامة قاتمة وجه كارثوريس.

وقال متمتمًا: «فليهنأ أسلافنا الأوائل!». والآن، لنرى كيف يمكننا الهرب من هذه المدينة الملعونة قبل أن يكتشف اللوثاريون أن جيداكهم لم يعُد له وجود».

وبالقوة الراسخة التي يتمتع بها من تتدفق في عروقه دماء جون كارتر من فرجينيا وديجاه ثوريس من هيليوم، أمسك يدها وعاد عبر القاعة إلى المدخل الكبير الذي أدخلهم منه جاف إلى حضرة الجيداك في وقت سابق من اليوم.

وما إن وصلا إلى عتبة، حتى انطلق شخص إلى القاعة عن طريق مدخل آخر. كان جاف، الذي ألقى أيضًا نظرة سريعة على المشهد.

استدار كارثوريس لمواجهته، وسيفه جاهز في يده، وجسمه الضخم يحمي كدرع هيئة الفتاة المرهفة.

صاح: «تعال يا جاف اللوثاري! فلنواجه هذه المسألة على الفور، حيث واحد منا فقط سيغادر هذه القاعة حيًّا مع ثوفيا البتارثية». وعندما

رأى أن الرجل لا يحمل سيفًا، صاح: «استدع الرماة إذنْ، أو تعالَ معنا أسيرًا إلى أن نمر بسلام من البوابات الخارجية لهذه المدينة الشبحية».

«لقد قتلت تاريو!»، صاح جاف متجاهلًا تحدي كارثوريس. «لقد قتلت تاريو! أرى دماءه على الأرض، دماء حقيقية، موت حقيقي. كان تاريو إذنْ حقيقيًّا مثلي. ومع ذلك كان أثيريًّا. لن يمكنه تجسيد مادته. هل هم على حق؟ حسنًا، نحن أيضًا على حق. كنا نتشاجر طوال تلك العصور، كل منا يقول إن الآخر على خطأ!».

«لكنه ميت الآن، وهذا يسعدني. سيأخذ جاف وضعه الآن، ويصبح جيداك لوثار!».

وما إن أنهى كلماته، حتى فتح تاريو عينيه، ثم جلس بسرعة.

وأخذ يصرخ: «خائن! قاتل!»، ثم صاح: «كادار! كادار!»، وهي صيحة استدعاء الحرس في برسوم.

شحب جاف، وانخفض على بطنه متلويًّا تجاه تاريو.

وقال بصوت يئن: «أوه، جيداكي، جيداكي! جاف ليس له يد في هذا. جاف وفي لك؛ دخلت القاعة الآن فقط لأجدك ممددًا على الأرض واهن القوى، وهذان الغريبان على وشك المغادرة. كيف حدث ذلك، لا أعلم. صدقني، يا أعظم جيداك!».

صاح تاريو: «توقف، أيها الوغد المحتال! لقد سمعت كلماتك: 'لكنه ميت الآن، وهذا يسعدني. سيأخذ جاف وضعه الآن، ويصبح جيداك لوثار!'».

«لقد كشفتك أخيرًا، أيها الخائن. أدانتك كلماتك، بمثل ما وضعت أفعال هذه المخلوقات الحمراء نهاية لهما... ما لم ...» توقف لبرهة ثم استأنف: «ما لم تكن المرأة ...».

لم يستكمل العبارة؛ فقد خمّن كارثوريس ما سيقوله، وقفز نحوه قبل أن يتمكن من تلفظ العبارة، وضرب الرجل على فمه بكفه المفتوح.

أرغى تاريو وأزبد من الغضب والإهانة.

وقال كارثوريس محذرًا: «إذا أهنت أميرة بتارث مرة أخرى، سوف أنسى أنك بلا سيف، فلن أستطيع أن أتحكم إلى الأبد في حكة السيف ليدي».

انكمش تاريو إلى الوراء، نحو المداخل الصغيرة خلف المنصة. حاول أن يتكلم، لكن عضلات وجهه كانت تنتفض ببشاعة بحيث ظل عدة دقائق غير قادر على أن ينطق كلمة واحدة. وأخيرًا، تمكن من الحديث بلغة مفهومة.

صرخ: «يجب أن تموت! يجب أن تموت!»، ثم استدار نحو المخرج خلفه.

قفز جاف إلى الأمام، وهو يصرخ مرتعبًا:

«الرحمة، تاريو! الرحمة! تذكر العصور الطويلة التي خدمتك فيها بإخلاص. تذكر كل ما فعلته من أجل لوثار. لا تحكم عليَّ الآن بإعدام بشع. أنقذني! أنقذني!».

ضحك تاريو باستهزاء، وواصل تحركه نحو الستائر التي تخفي المدخل الصغير.

تحول جاف نحو كارثوريس، وصاح: «أوقفه! أوقفه! إذا كنت تحب الحياة، لا تسمح له بمغادرة هذه الغرفة»، وخلال حديثه انطلق وراء الجيداك.

حذا كارثوريس حذو جاف، لكن 'آخر جيداك في برسوم' كان أسرع منهم. وعند وصولهم إلى الستائر المزركشة التي اختفى الجيداك خلفها، وجدوا بابًا حجريًّا ثقيلًا يحول دون تقدمهم.

انهار جاف على الأرض في حالة تشنج من شدة رعبه.

صاح كارثوريس: «تعال يا رجل! نحن لم نمُت بعد. لنسرع إلى الطريق ونحاول مغادرة المدينة. نحن لا نزال على قيد الحياة، وما دمنا أحياء، يمكننا توجيه مصائرنا. ما جدوى أن تنهار على الأرض ضعيفًا؟ هيا، كن رجلًا!».

هز جاف رأسه.

وقال شاكيًا: «ألم تسمعه يستدعي الحراس؟ آه، لو كنا اعترضنا سبيله! ربما كان سيوجد أمل؛ لكنه، للأسف، كان سريعًا جدًّا بالنسبة لنا».

صاح كارثوريس بنفاذ صبر: «حسنًا، حسنًا، ماذا في أنه استدعى الحراس؟ لدينا وقت كاف للقلق في حال وصولهم، لكنني الآن لا أرى أي علامة على أن لديهم أي فكرة عما يحدث بحيث يبذلون جهدًا مفرطًا لإطاعة استدعاء الجيداك».

هز جاف رأسه بحزن.

وقال: «أنت لا تفهم، لقد جاء الحراس بالفعل وذهبوا. لقد قاموا

بعملهم، نحن ضعنا. انظر إلى المخارج المختلفة».

أدار كارثوريس وثوفيا أعينهم في اتجاه المداخل العديدة التي تخترق جدران القاعة الكبرى. كان كل منها مغلقًا بإحكام بأبواب حجرية ضخمة.

سأل كارثوريس: «حسنا؟».

همس جاف بضعف: «سنميت الموت».

لم يقل أي شيء آخر. جلس على حافة أريكة الجيداك، وانتظر.

انتقل كارثوريس إلى جانب ثوفيا، وقف ممتشقًا سيفه، وطاف بعينيه الشجاعتين بلا كلل حول القاعة الكبرى، بحيث لا ينطلق نحوهم أي خصم دون أن يراه.

لم يخرق أي صوت، لعدة ساعات، صمت هذا القبر الحي. ولم يُبد جلادوهم أي علامة على توقيت أو طريقة موتهم. كان التوتر رهيبًا. حتى كارثوريس بدأ يشعر بالضغط الرهيب على أعصابه. إذا تمكن فقط من معرفة كيف وأين ستضرب يد الموت، لكان واجهها دون خوف، لكن المعاناة الطويلة من هذا التوتر البشع نتيجة الجهل العمدي لخطط قاتليهم كان شديد الوطأة.

اقتربت منه ثوفيا. شعرت أكثر أمانًا وذراعه حولها. ومع ملامستها، تماسك والتفت إليها بابتسامته القديمة المعهودة.

وقال ضاحكًا: «يبدو أنهم يحاولون إخافتنا حتى الموت؛ عار عليَّ أن أعترف بذلك، وأعتقد أنهم يقتربون من تحقيق مخططاتهم».

كانت على وشك الرد، عندما انطلقت صرخة مرعبة من شفتي اللوثاري.

صاح: «النهاية تقترب! النهاية تقترب! الأرضية! الأرضية! أوه، كومال، كن رحيمًا!».

لم تكن ثوفيا وكارثوريس في حاجة إلى إلقاء نظرة على الأرضية ليدركا وجود حركة غريبة.

أخذ رخام الأرضية ينهار ببطء في جميع الاتجاهات نحو المركز. كانت الحركة تدريجية في البداية، وبالكاد ما يمكن ملاحظتها؛ لكن زاوية الأرضية أصبحت الآن في وضع يجعل الوقوف عليها بسهولة مستحيلًا، إلا بثني ركبة واحدة بقدر كبير.

لا يزال جاف يصيح، ويتشبث بالأريكة الملكية التي بدأت تنزلق فعلًا نحو وسط الغرفة، حيث فُوجئت ثوفيا وكارثوريس بفوهة صغيرة ينمو قُطرها مع اتخاذ الأرضية لشكل محيط أشبه بالقُمع.

زادت الآن صعوبة التشبث بالميل الدوار للرخام الأملس المصقول.

حاول كارثوريس دعم ثوفيا، لكنه بدأ هو نفسه بالانزلاق نحو الفتحه الآخذة في الاتساع.

وكان أفضل من التشبث بحجر أملس، أن ركل صندله المصنوع من جلد زيتيدار[٢١]، واستعان بقدميه العاريتين لتثبيت نفسه في مواجهة

(٢١) الزيتيدار: حيوان مريخي يشبه الفيل، ويُعتبر من حيوانات الجر الثقيلة حيث يستخدمه المريخيون غالبًا في حمل الأحمال الكبيرة لمسافات شاسعة وجر المركبات الضخمة. http://barsoom.wikia.com/wiki/Zitidar - المترجمة.

هذا الانحدار الكريه، وألقى ذراعيه في الوقت نفسه حول الفتاة ليسندها.

ولشعورها بالرعب، شبكت يديها حول عنقه. كان خدها قريبًا من خده. وبدا الموت، بشكله غير المرئي وغير المعروف، قريبًا منهما. ولأنه غير مرئي وغير معروف، كان أكثر رعبًا.

همس كارثوريس: «تشجعي يا أميرتي».

نظرت إلى وجهه، ورأت شفتيه المبتسمتين فوق شفتيها، وعينيه الشجاعتين غير المرتعبتين تنظران بعمق نحو عينيها.

انحنت الأرضية وزادت سرعة ميلها؛ وفجأة انزلقا نحو الفتحة.

شقت صرخات جاف الغريبة والرهيبة آذانهم؛ ثم وجد الثلاثة أنفسهم مكدسين فوق أريكة تاريو الملكية، التي كانت عالقة داخل الفتحة في قاعدة القُمع الرخامي.

تنفسوا الصعداء للحظة، لكنهم اكتشفوا الآن أن الفتحة تواصل اتساعها. انزلقت الأريكة إلى أسفل. صرخ جاف مرة أخرى. سرى إحساس مقزز وهم يندفعون إلى أسفل، حيث سقطوا خلال الظلام إلى موت مجهول.

* * *

الفصل (٩)

معركة عند السهل

لم تكن المسافة من قاع القُمع إلى أرضية الغرفة التي تقع أسفله كبيرة، إذ وصل إليها ضحايا غضب تاريو الثلاث سالمين.

وصل كارثوريس إلى الأرضية واقفًا على قدميه كالقطة، وهو لا يزال يضم ثوفيا بإحكام على صدره، وتلقى صدمة الفتاة. وما إن لمست قدماه الحجر الخشن الذي يغطي هذه الغرفة الجديدة، حتى ومض سيفه جاهزًا للاستخدام الفوري. وعلى الرغم من أن الغرفة كانت مضاءة، لم تضم أي علامة على وجود عدو.

نظر كارثوريس نحو جاف. كان الرجل شاحبًا من الخوف.

سأله: «ما مصيرنا؟ أخبرني يا رجل! تخلص من رعبك الذي طال كثيرًا وأخبرني، حتى أكون مستعدًّا لبيع حياتي وحياة أميرة بتارث بأغلى ثمن ممكن».

همس جاف: «كومال! سيلتهمنا كومال!».

سأله كارثوريس: «هل هو معبودكم؟».

أومأ اللوثاري رأسه، ثم أشار نحو مدخل منخفض في أحد أطراف الغرفة.

«سيهاجمنا من هناك. ضع سيفك السقيم جانبًا، يا أحمق. سوف يزيد من غضبه، ويزيد بالتالي من معاناتنا».

ابتسم كارثوريس، وأحكم قبضته على سيفه الطويل.

أطلق جاف الآن أنينًا مفزعًا وهو يشير نحو الباب.

بكى قائلًا: «لقد جاء».

نظر كارثوريس وثوفيا في الاتجاه الذي أشار إليه اللوثاري، وهما يتوقعان رؤية مخلوق غريب ومخيف على شكل إنسان؛ ولدهشتهما شاهدا الرأس العريض والكتفين الكبيرين لبانث ضخم، أضخم حيوان بانث رآه أي منهما من قبل.

تقدم الوحش ببطء ومهابة داخل الغرفة. سقط جاف على الأرض، وكان يتلوى بجسده بنفس الطريقة الذليلة التي فعلها أمام تاريو. وأخذ يتحدث إلى الوحش الشرس كأنما يتحدث إلى إنسان، ويتوسل أن يرحمه.

خطا كارثوريس ليقف بين ثوفيا والبانث، مع سيفه جاهزًا لمباراة الانتصار على الوحش. تحولت ثوفيا نحو جاف.

وسألته: «هل هذا كومال، معبودكم؟».

أومأ جاف بالإيجاب. ابتسمت الفتاة، ثم خطت أمام كارثوريس، متوجهة إلى الوحش الهادر آكل اللحوم.

تحدثت إليه بنبرة منخفضة، مثلما تحدثت من قبل إلى وحوش البانث في المنحدرات الذهبية، والبانث من جامعي القمامة أمام جدران لوثار.

توقف الوحش عن الزئير. مشى خافضًا رأسه وهو يصدر خريرًا كالقطة، نحو أقدام الفتاة. التفتت ثوفيا تجاه كارثوريس.

وقالت: «ليس سوى حيوان بانث. ليس يوجد ما يمكن أن نخشاه».

ابتسم كارثوريس.

أجابها: «لم أكن قلقًا؛ فقد تصورت أيضًا أنه لن يكون سوى بانث، ومعي سيفي الطويل».

جلس جاف محدقًا في المشهد أمامه- فتاة نحيلة تدير أصابعها بطريقة معينة أمام مخلوق ضخم كان يتصور أنه معبوده، بينما يحك كومال أنفه البشع في جانبها.

ضحكت ثوفيا: «هذا معبودكم إذنْ!».

بدا جاف متحيرًا. لم يكن يتصور أنه يجرؤ على مخالف كومال؛ فللخرافات قوة رهيبة، فعلى الرغم من معرفتنا أننا نبجل خدعة، نتردد في الاعتراف بصحة قناعاتنا الجديدة.

قال: «نعم، هذا هو كومال. ظل تاريو لعصور عديدة يُلقي بخصومه إلى هذه الحفرة لإشباع فم كومال الذي يجب إطعامه».

سأله كارثوريس: «هل يوجد أي مخرج من هذه الغرفة إلى طرقات المدينة؟».

هز جاف كتفيه.

وأجاب: «لا أعرف. لم آتِ إلى هنا من قبل، ولم أهتم بذلك أبدًا».

اقترحت ثوفيا: «هيا، دعونا نستكشف. من المؤكد أن هناك طريقة للخروج».

اقترب ثلاثتهم من المدخل الذي دخل منه كومال إلى الغرفة التي كانت لتشهد موتهم. وجدوا خلفها عرينًا بسقف منخفض، وفي أقصى نهايته يوجد باب صغير.

ولسعادتهم، وجدوا على الباب مزلاجًا عاديًّا، فتحوه، ووجدوا أنفسهم في ساحة دائرية، محاطة بمدرج من المقاعد.

أوضح جاف: «هنا يتغذى كومال على الملأ. لو تجرَّأ تاريو، لكانت نهايتنا هنا؛ لكنه يخشى كثيرًا سيفك الحاد أيها الرجل الأحمر، ولذا ألقانا إلى الحفرة. لم أكن أعرف أن الغرفتين متصلتان. نستطيع الآن أن نصل بسهولة إلى الطريق وبوابات المدينة. لن يقاطعنا سوى الرماة، لكنني أعرف سرهم، وأشك أن لديهم القدرة على إلحاق الضرر بنا».

قادهم إلى باب آخر إلى درجات ترتفع من مستوى الساحة إلى أعلى من خلال المقاعد، ثم إلى مخرج في الجزء الخلفي من القاعة. وجدوا وراءه ممرًّا عريضًا مستقيمًا، يستمر مباشرة من خلال القصر إلى الحدائق في الجانب.

لم يظهر أحد لتوجيه أي سؤال لهم خلال تقدمهم، وكان كومال الجبار يخطو بجانب الفتاة.

سأل كارثوريس: «أين سكان القصر، حاشية الجيداك؟ وحتى في شوارع المدينة التي نخترقها، يندر أن رأيت علامة على كائن بشري، برغم أن كل ما حولنا يدل على روعة السكان».

تنهد جاف، وقال: «مسكينة لوثار. إنها في الواقع مدينة أشباح. لم يتبقَّ منا أكثر من ألف، بعد أن كان عددنا يتجاوز الملايين. مدينتنا العظيمة مأهولة بمخلوقات من تصوراتنا. نحن لا نجهد أنفسنا، لتلبية احتياجاتنا، في تجسيد الشخصيات التي يصورها خيالنا؛ ومع ذلك فهي واضحة لنا».

«أرى الآن مثلًا حشودًا كبيرة تصطف على طول الطريق، تسرع جيئة وذهابًا في جولاتها للقيام بواجباتها. أرى النساء والأطفال يضحكون على الشرفات، ومحظور علينا تجسيدهم؛ لكنني أراهم- وهنا... ولكن لِمَ لا؟»، صمت لبرهة متأملًا: «لم أعد أخشى تاريو، لقد فعل أسوأ ما يمكنه، وفشل. لِمَ لا، حقًّا؟».

واصل حديثه: «ابقوا يا أصدقاء. ألا تريدون رؤية لوثار في مجدها؟».

أومأ كارثوريس وثوفيا علامة على الموافقة؛ وأساسًا من باب المجاملة وليس لاقتناعهم بأهمية ثرثرته.

نظر جاف إليهما محدقًا للحظة، ثم صاح بإشارة من يده: «انظروا!».

كان المشهد أمامهم مذهلًا. ففي نفس المكان الذي لم يكن يضم سوى أرصفة مهجورة ومرجة قرمزية ونوافذ مفتوحة وأبواب لبيوت

خالية، يتدفق الآن حشد بلا نهاية من أناس سعداء يضحكون.

قال جاف بصوت خفيض: «هذا هو الماضي. إنهم لا يروننا، وإنما يعيشون فقط الماضي الميت القديم للوثار العتيقة؛ لوثار العصور القديمة، لوثار التي ماتت وانهارت بعد أن كانت تقع عند شاطئ ثروكسوس، أقوى المحيطات الخمسة».

«أترون هؤلاء الرجال الرائعين، يتمايلون على طول شارع واسع؟ أترون الفتيات والنساء يبتسمون لهم؟ أترون الرجال يوجهون لهن التحية بكل حب واحترام؟ إنهم البحارة القادمون من سفنهم التي تقع بجوار أرصفة الميناء على حافة المدينة».

«آه، يا لهم من رجال شجعان، لكن مجد لوثار تلاشى! انظروا إلى أسلحتهم. هم فقط مَن يحملون أسلحة؛ لأنهم يعبرون البحار الخمسة إلى أماكن غريبة تكتنفها الأخطار. وبموتهم ماتت الروح العسكرية لدى اللوثاريين؛ ما بقي عبر العصور المتتالية، هو عِرق من الجبناء الضعفاء».

«نحن نكره الحرب، ولذا لم ندرب شبابنا على أساليب الحرب. ثم حل بنا الخراب؛ إذ عندما جفت البحار وتعدت علينا جحافل الخُضر، لم نستطع أن نفعل أي شيء سوى الفرار. لكننا نتذكر رماة البحرية في أيام مجدنا، وهي الذاكرة التي يصورها خيالنا أمام أعدائنا».

تلاشت الصورة عندما توقف جاف عن الحديث، ثم واصل الثلاثة طريقهم نحو البوابات البعيدة، على طول الطرق المهجورة.

شاهدوا مرتين لوثاريين حقيقيين من لحم ودم. لكن المواطنين فروا هاربين ما إن شاهدوا الثلاثة ومعهم البانث الضخم الذي تعرفوا فيه على كومال.

صاح جاف: «سوف ينقلون خبر رحلتنا إلى تاريو، وسرعان ما سيرسل الرماة خلفنا. لنأمل أن نظريتنا صحيحة، وأن سهامهم تعجز أمام عقول تدرك أنهم غير حقيقيين. وخلاف ذلك، سنموت».

«أيها الرجل الأحمر، وضح للمرأة الحقائق التي شرحتها لك، بحيث تواجه السهام بإيحاء مضاد أقوى حول الحصانة».

فعل كارثوريس ما طلبه جاف. وصلوا الآن إلى البوابات الكبرى دون أي علامة على مطاردة. وعندئذ قام جاف بتشغيل الآلية التي تدير البوابة الضخمة التي تشبه العجلة، وبعد لحظة كان الثلاثة، والبانث بصحبتهم، يخرجون إلى السهل الممتد أمام لوثار.

وما إن ساروا مائة ياردة، حتى انطلق صوت عدد كبير من الرجال يصيحون خلفهم، وعندما استداروا، شاهدوا مجموعة من الرماة يخرجون من البوابة، التي خرج الثلاثة منها حالًا، ويتوجهون نحو السهل.

كما وقف فوق جدار البوابة عدد من اللوثاريين، تعرف جاف من بينهم على تاريو. وقف الجيداك صارخًا، ومركزًا جميع قوى عقله الـمُدرب عليهم. ومن الواضح أنه يبذل أقصى جهد كي تصبح مخلوقاته الخيالية مميتة. شحب لون جاف، وبدأ يرتعش. يبدو أنه، في هذه اللحظة الحاسمة، فقد شجاعة اقتناعه. استدار البانث الضخم نحو

الرماة المتقدمين، وهو يزأر. وضع كارثوريس نفسه بين ثوفيا والخصوم ووقف في مواجهتهم، وانتظر نتائج هجمتهم.

وفجأة جاءت لكارثوريس فكرة ملهمة.

صاح، موجهًا كلامه إلى جاف: «ألْقِ أنت أيضًا بالرماة في مواجهة تاريو! دعنا نشاهد معركة بين عقليتين».

ويبدو أن الاقتراح أثلج صدر اللوثاري؛ ففي اللحظة التالية كان الثلاثة يقفون وراء صفوف متينة من رماة يتمتعون بأجسام ضخمة، يهددون ويتوعدون المجموعة التي تخرج من المدينة المسورة.

أصبح جاف رجلًا جديدًا في لحظة وقوف كتائبه بينه وبين تاريو. يكاد المرء أن يُقسم أن الرجل يصدق أن هذه المخلوقات التي صنعتها قوة تنويمه الغريبة هي مخلوقات حقيقية من لحم ودم.

بصيحات القتال الفظة، هاجموا رماة تاريو. طارت السهام حادة الرؤوس بكثافة وسرعة. سقط رجال، وسالت الدماء على الأرض.

واجه كارثوريس وثوفيا صعوبة في التوفيق بين ما يرونه ومعرفتهم بالحقيقة. شاهدوا صفوفًا من الأوتان(٢٢) تخرج من البوابة في خطوات مثالية لتعزيز مجموعة فائقة العدد التي بعث بها تاريو بداية لإلقاء القبض عليهم.

وفي المقابل شاهدوا قوات جاف تتنامى إلى أن تحول كل شيء

---

(٢٢) أوتان: سرية من الجنود تضم مائة جندي- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=utan* - المترجمة.

حولهم إلى بحر من القتال، ولعنات من المحاربين، وموتى يتكدسون في أكوام في أرجاء السهل.

ويبدو أن جاف وتاريو نسيا كل شيء آخر غير صراع الرماة الذين يندفعون جيئة وذهابًا، ويملؤون كافة أرجاء السهل الشاسعة بين الغابة والمدينة.

لاحت الغابة قريبة خلف ثوفيا وكارثوريس. ألقى الأخير نظرة خاطفة نحو جاف.

وهمس للفتاة: «هيا! فلنتركهم يقاتلون معركتهم الوهمية؛ فمن الواضح أن كليهما ليس لديه قوة لإلحاق الضرر بالآخر. إنهما مثل اثنين متجادلين، يلقيان بالكلمات ضد بعضهما. ويمكننا، خلال اشتباكهما، تكريس طاقاتنا لمحاولة العثور على طريق عبر المنحدرات إلى السهول وراءها».

استدار جاف للحظة، وتمكن من التقاط كلمات كارثوريس. وشاهد الفتاة تتحرك لمرافقة الهيليومي. قفزت نظرة ماكرة إلى عينَي اللوثاري.

كان الشيء الذي يكمن وراء تلك النظرة عميقًا في قلبه منذ أن وقعت عيناه للمرة الأولى على ثوفيا البتارثية. على أنه لم يدرك ذلك إلا عندما أوشكت أن تختفي من حياته.

ركز عقله على الهيليومي والفتاة للحظة.

رأى كارثوريس ثوفيا تخطو إلى الأمام بيد ممدودة. أدهشه لطفها

المفاجئ نحوه، وبكل قلبه ترك أصابعه تتشابك مع أصابعها، وهما يبتعدان معًا عن لوثار المنسيّة متجهين نحو إلى الغابة، وهما عازمان على الوصول إلى الجبال البعيدة.

وعندما استدار اللوثاري نحوهما، فُوجئت ثوفيا بصوت كارثوريس يقترح خطة جديدة.

سمعته يقول: «يمكنك البقاء هنا مع جاف، بينما أذهب أنا للبحث عن طريق عبر المنحدرات».

تراجعت في دهشة وخيبة أمل؛ لأنها تعرف أنه لا يوجد سبب لعدم مرافقته. ومن المؤكد أنها ستكون أكثر أمانًا معه من وجودها بمفردها مع اللوثاري.

ابتسم جاف ابتسامته الماكرة وهو يشاهدهما.

عندما اختفى كارثوريس داخل الغابة، جلست ثوفيا بلا مبالاة عند المرجة القرمزية لمشاهدة الصراع الذي يبدو بلا نهاية بين الرماة.

شقت فترة ما بعد الظهيرة الطويلة طريقها المرهق نحو الظلام، ولا تزال الجحافل الوهمية تهاجم وتتراجع. كانت الشمس على وشك الغروب، عندما بدأ تاريو سحب قواته ببطء نحو المدينة.

لاقت خطته لوقف الأعمال العدائية خلال الليل قبولًا تامًا لدى جاف؛ إذ جعل قواته تشكل نفسها في أوتانات منظمة عند حافة الغابة، حيث سرعان ما انشغلوا في إعداد وجبة المساء ونشر حرير وفراء النوم.

بالكاد ما نجحت ثوفيا في كبت ابتسامة وهي تلاحظ العناية الدقيقة

التي يوليها رجال جاف الوهميين في تصرفاتهم بكل التفاصيل الصغيرة، كأنهم حقًّا من لحم ودم.

قاموا بنشر الحراسة بين المعسكر والمدينة. وتحرك الضباط هنا وهناك، يصدرون الأوامر ويتأكدون من تنفيذها بشكل صحيح.

تحولت ثوفيا نحو جاف، وسألته: "لماذا تلتزم بهذا الانضباط الدقيق في تنظيم مخلوقاتك، وأنت وتاريو تعرفان تمامًا أنهم من صنع الخيال؟ لماذا لا تسمح لهم ببساطة بالذوبان في الهواء إلى أن تحتاج خدماتهم العقيمة مرة أخرى؟".

أجاب جاف: "أنت لا تفهمينهم. عند وجودهم، هم حقيقيون. أنا أدعوهم إلى الوجود فقط، وأوجه أعمالهم العامة. وهم يتصرفون باعتبارهم حقيقيين، مثلي ومثلكِ، إلى أن أجعلهم يتلاشون. يتولى ضباطهم إصدار الأوامر لهم، بناء على توجيهاتي. أنا القائد العام، هذا كل شيء. ويصبح التأثير النفسي على العدو أكبر بكثير مما لو تعاملت معهم كمجرد تصورات غير مجسدة".

واصل اللوثاري: "كما أن هناك دائمًا الأمل، الذي يشبه قليلًا الاعتقاد، بأن هذه التجسيدات ستندمج يومًا ما مع الواقع- أي أنهم، بعضهم، سيبقون بعد تلاشي زملائهم، وبالتالي نكون اكتشفنا وسيلة لإدامة عِرقنا الآخذ في الفناء".

"هناك البعض الذين يزعمون أنهم أنجزوا ذلك بالفعل. فمن المفترض عمومًا وجود عدد قليل تجسد بشكل دائم بين الأثيريين. بل قيل إن تاريو واحد منهم، لكن هذا غير صحيح؛ لأنه كان موجودًا قبل

قد أن نكتشف إمكانيات الإيحاء الكاملة".

"وهناك آخرون بيننا يصرون على أننا جميعًا لسنا حقيقيين؛ فليس من الممكن أن يستمر وجودنا طوال كل هذه العصور دون طعام وماء حقيقيين إذا كنا أنفسنا حقيقيين. وعلى الرغم من أنني واقعي، فإنني أميل نحو هذا الاعتقاد".

"إنه يبدو اعتقادًا جيدًا ومعقولًا استنادًا إلى الاعتقاد بأن أسلافنا القدماء طوروا قبل فنائهم هذه العقليات العجيبة التي عاشت بعض أقوى عقولها بعد موت أجساد أصحابها، وإننا لسنا سوى عقول خالدة لأفراد ماتوا منذ زمن طويل".

"قد يبدو ممكنًا. ولكني، بقدر ما يتعلق الأمر بي، أملك كافة سمات الوجود المادي. أنا آكل، وأنام،..."، صمت لبرهة وهو يلقي نظرة ذات مغزى نحو الفتاة: "... وأحب!".

لم تُخطئ ثوفيا المعنى الواضح لكلماته وتعبيره. تحولت بعيدًا، وهي تقشعر قليلًا من الاشمئزاز الذي لم يفارقها أبدًا تجاه اللوثاري.

اقترب منها وأمسك ذراعها.

صاح: "لماذا ترفضين جاف؟ إنه أكثر احترامًا من الرجل الثاني في أقدم عِرق في العالم؟ الهيليومي؟ لقد ذهب، هجركِ وتركِكِ لمصيركِ لينقذ نفسه. تعالي، كوني لجاف".

وقفت ثوفيا البتارثية بكامل هيئتها، وتحولت نحو الرجل بكتفيها المرفوعتين، وذقنها المتعجرف مرفوع، وشفتاها ملتويتان في ازدراء.

قالت بهدوء: "أنت تكذب! ما يعرفه الهيليومي عن عدم الولاء أقل مما يعرفه عن الخوف، وهو يجهل الخوف بمثل ما يجهله الصغار الذين لم يخرجوا من بيضهم بعد".

قال اللوثاري ساخرًا: "أين هو إذنْ؟ قلت لكِ إنه هرب إلى الوادي. تركك لمصيركِ. لكن جاف سيجعله مصيرًا سعيدًا. سنعود غدًا إلى لوثار على رأس جيشي المنتصر، وسأصبح الجيداك وأنت زوجتي. تعالي!"، ثم حاول أن يضمها إلى صدره.

كافحت الفتاة لتحرير نفسها، وضربت الرجل بأساورها المعدنية. لكنه استمر يجذبها نحوه، إلى أن روعهما فجأة هدير بشع يصدر من الغابة القريبة المظلمة خلفهما.

* * *



الفصل (١٠)

كاركومار، رامي السهام

عندما تحرك كارثوريس خلال الغابة في اتجاه المنحدرات البعيدة، ويد ثوفيا لا تزال في يده، تعجب قليلًا من استمرار صمتها؛ لكنه كان سعيدًا بتلامس يديهما بحيث خشى أن يقطع -لو تحدث- فتنة اعتمادها الجديد عليه.

سارا خلال الغابة المعتمة، إلى أن بدأت ظلال ليل المريخ تسرع نحوهما، ثم بدأ كارثوريس يتحدث إلى الفتاة بجواره.

يجب أن يخططا معًا للمستقبل. كان يفكر في المرور عبر المنحدرات على الفور إذا أمكنهما تحديد موقع الممر. وكان على يقين أنهما يقتربان الآن من المنحدرات، لكنه أراد موافقتها على هذا الاقتراح.

وعندما وقعت عيناه عليها، أذهله مظهرها الأثيري الغريب. بدت فجأة كأنما ذابت في مادة حلم ضعيفة، ومع استمرار نظرته نحوها، أخذت تتلاشى ببطء من أمام بصره.

ظل مصعوقًا للحظة، ثم ومضت الحقيقة كاملة أمامه فجأة. لقد جعله جاف يعتقد أن ثوفيا ترافقه خلال الغابة، بينما احتجز الفتاة في الواقع لنفسه!

استبد الهلع بكارثوريس، لعن نفسه لغبائه، وأدرك أن القدرة الشيطانية التي استحضرها اللوثاري لإرباكه خدعته.

وبمجرد إدراكه الحقيقة، بدأ يعود أدراجه إلى لوثار. لكنه يتحرك الآن بسرعة رهيبة، فعضلات كوكب الأرض التي ورثها عن أبيه كانت تحمله سريعًا فوق البساط الناعم من أوراق الشجر المتساقطة وطبقات العُشب.

غمر ضوء القمر ثوريا اللامع السهل الذي يقع أمام مدينة لوثار المسورة، خلال خروج كارثوريس من الغابة في مواجهة البوابة الكبرى التي انطلق منها مع ثوفيا من المدينة في وقت سابق من اليوم.

لم يشهد في البداية أي علامة على وجود شخص غيره في المكان حوله. كان السهل مهجورًا. لا يخيم الرماة الآن أسفل الخَضَار المتدلي من الأشجار العملاقة. ولا تتكدس أكوام الموتى الدموية التي كانت تشوه جمال المرجة القرمزية. كان الصمت يرين، والسلام يعُم.

وما إن وصل كارثوريس إلى حافة الغابة، وبدأ يعبر السهل في اتجاه المدينة، حتى لمح أمام قدميه هيئة شخص مكوم فوق العشب.

كانت جثة رجل خائر القوى. أدار كارثوريس الرجل على ظهره، إنه جاف، لكن جسده ممزق ومشوه ويصعب التعرف عليه.

مال الأمير فوقه ليتبين ما إذا بقيت فيه أي شرارة حياة. فتح الرجل جفونه، ونظر إلى كارثوريس بأعين كئيبة مليئة بالمعاناة.

صاح كارثوريس: «أميرة بتارث! أين هي؟ أجبني يا رجل، أم أستكمل العمل الذي بدأه غيري».

تمتم جاف: «كومال، قفز فوقي... وكاد أن يلتهمني من أجل الفتاة. بعد ذلك، ذهبا معًا إلى الغابة، الفتاة والبانث العظيم ... وأصابعها ممسكة بعُرفه الأسمر».

سأله كارثوريس: «ذهبا في أي اتجاه؟».

أجابه جاف بضعف: «هناك، في اتجاه الممر عبر المنحدرات».

لم ينتظر أمير هيليوم ليسمع المزيد، بل نهض على قدميه، وأخذ يسرع عائدًا مرة أخرى إلى الغابة.

كان الوقت فجرًا عند وصوله إلى فتحة النفق المظلم الذي قد يقوده إلى العالم الآخر، وراء وادي الذكريات الشبحية والتأثيرات المنومة الغريبة والأخطار.

لم يواجه أي حادثة أو عقبة داخل الممرات الطويلة المظلمة، وخرج أخيرًا إلى ضوء النهار وراء الجبال، ولا توجد مسافة كبيرة من الحافة الجنوبية لمناطق التوركواسيين، لا تزيد على مائة وخمسين هادًا على الأكثر.

وتبلغ المسافة من حدود توركواس إلى مدينة آنتور حوالي مائتي هاد؛ إذنْ أمامه رحلة يزيد طولها على مائة وخمسين ميلًا (بمقاييس

كوكب الأرض) بينه وبين آنتور.

لا يمكنه في أحسن الأحوال إلا أن يُخاطر بتخمين أن ثوفيا اتجهت نحو آنتور، حيث توجد أقرب مياه، وحيث تتوقع أن يأتي في يوم ما فريق إنقاذ من إمبراطورية والدها. فقد كان كارثوريس يعرف ثوفان ديهن جيدًا، وأنه لن يدخر جهدًا لتعقب حقيقة اختطاف ابنته، ومعرفة كل شيء ممكن أن يدله على مكانها.

أدرك بالطبع أن الحيلة التي جعلت الشبهات تحوم حوله ستؤخر إلى حد كبير اكتشاف الحقيقة؛ لكنه لم يخمن إلى أي مدى تعاظمت نتائج نذالة أستوك الدوساري بالفعل.

عندما خرج من فتحة الممر للبحث عبر سفوح الجبال باتجاه آنتور، كان أسطول بتارث الحربي يبحر في طريقه المهيب ببطء نحو مدينتي هيليوم التوأم، بينما كان يسرع من كاول، من مسافة بعيدة، أسطول حربي جبار لينضم إلى قوى حليفه.

لم يعرف أن شعبه حتى، على ضوء الأدلة الظرفية ضده، بدأ يقبل الشك في أنه اختطف أميرة بتارث.

ولم يعرف مدى ما ذهب إليه الدوساريون لزعزعة الصداقة والتحالف القائمين بين القوى الكبرى الثلاث في نصف الكرة الشرقي: هيليوم، وبتارث، وكاول.

ولم يعرف كيف وجد مبعوثو دوسار فرص عمل في مناصب مهمة بالمكاتب الخارجية لثلاث أمم كبرى، وكيف قام هؤلاء المبعوثون

بتبديل وتحريف الرسائل التي يبعث بها جيداك إلى آخر حتى وصل الأمر إلى حد عدم قدرة صبر وكبرياء الحكام الثلاثة الذين كانوا أصدقاء إلى تحمُل الإهانات والشتائم الواردة في هذه الأوراق المزورة.

كما لم يعرف حتى أن جون كارتر -أمير الحرب في المريخ- رفض السماح لجيداك هيليوم إعلان الحرب ضد بتارث أو كاول؛ وذلك لثقته الضمنية في ابنه، وأن كل شيء سيجد في نهاية المطاف تفسيرًا مُرضيًا.

والآن، يبحر أُسطولان كبيران نحو هيليوم، بينما حاول جواسيس دوسار في بلاط تاردوس مورس إبقاء المدينتين التوأم جاهلتين بخطر قدوم هذين الأسطولين.

أعلن ثوفان ديهن الحرب، لكن الرسول الذي أُوفد لتسليم الإعلان كان دوساريًا، وعمل على عدم وصول كلمة تحذير إلى المدينتين التوأم بشأن اقتراب أسطول معاد.

انقطعت العلاقات الدبلوماسية لعدة أيام بين هيليوم وجارتيها القويتين. ومع رحيل الوزراء، توقفت تمامًا الاتصالات اللا سلكية بين الأطراف المتنازعة، كما هي العادة في برسوم.

لكن كارثوريس كان يجهل كل ذلك. لقد كرس اهتمامه حاليًا على إيجاد ثوفيا البتارثية. اقتفى الأثر الواضح لدربها هي والبانث الضخم وصولًا إلى النفق، ثم ظهر الأثر ثانية في اتجاه الجنوب نحو سفوح الجبال.

أسرع في اتجاه قاع البحر الميت، حيث يعرف أنه قد يفقد أثرها

فوق الغطاء النباتي الأصفر المرن. وفجأة أثار دهشته رؤية رجل عار يقترب منه قادمًا من الشمال الشرقي.

ومع اقترابه، توقف كارثوريس انتظارًا لمجيئه. كان يعلم أن الرجل غير مسلح، وأنه من لوثار؛ فبشرته بيضاء وشعره كستنائي.

اقترب الرجل دون أي علامة على الخوف. وعند وصوله، أطلق تحية الابتهاج في برسوم «كاور»، للترحيب.

سأله كارثوريس: «مَن أنت؟».

أجاب: «أنا كار كوماك، أودوار[٢٣] الرماة. لقد حدث لي شيء غريب. ظل تاريو لعصور يستحضرني إلى الوجود كلما احتاج إلى خدمات الجيش الذي يبدعه عقله. ومن بين جميع الرماة، كان كار كوماك أكثر مَن يتجسد».

«وظل تاريو لفترة طويلة يركز عقله على تجسيدي الدائم. استحوذ عليه هاجس أنه قد يحقق ذلك في يوم ما، وبالتالي يضمن مستقبل لوثار. أكد أن المادة لا توجد إلا في مخيلة الرجل؛ أي أن كل شيء عقلي، ولذا كان يعتقد أنه بالمثابرة المستمرة في الإيحاء، يمكنه في نهاية المطاف أن يجعل مني إيحاء دائمًا في عقول جميع المخلوقات».

«وقد نجح أمس، ولكن في وقت عجيب! من المؤكد أن ذلك كله حدث دون أن يعرف، كما حدث لي دون علمي؛ فعندما كان قومي

---

(٢٣) أودوار: قائد أو جنرال – *http://barsoom.wikia.com/wiki/ –Special:Search?query=odwar* – المترجمة.

من الرماة يصيحون، سعيت وراء التوركواسيين الفارين إلى سهولهم الصفراء».

«ومع حلول الظلام، وعندما حان وقت تلاشينا في الهواء مرة أخرى، وجدت نفسي فجأة بمفردي عند حافة السهل العظيم الذي يقع هناك عند سفح التلال المنخفضة».

«كان رجالي قد عادوا إلى العدم، من حيث جاءوا؛ لكنني بقيت، عاريًا وغير مسلح».

«لم أفهم في البداية، وأخيرًا أدركت ما حدث. تحقق أخيرًا إيحاء تاريو الذي استمر طويلًا، وأصبح كار كوماك حقيقة واقعة في عالم الرجال؛ لكن عتادي وأسلحتي تلاشت مع زملائي، وتركتني عاريًا وأعزل في بلد عدائي أبعد ما يكون عن لوثار».

سأله كارثوريس: «وهل ترغب في العودة إلى لوثار؟».

أجاب كار كوماك بسرعة: «كلا! أنا لا أحب تاريو. ولأني مخلوق صدر من عقله، أعرفه جيدًا. إنه قاس ومستبد، سيد لا أريد أن أخدمه. والآن، بعد نجاحه في إنجاز تجسيدي الدائم، سيصبح لا يُطاق، وسيستمر إلى أن يملأ لوثار بمخلوقاته. وأتساءل ما إذا كان قد نجح كذلك مع فتاة لوثار».

قال كارثوريس: «تصورت أنه لا توجد نساء هناك».

أجاب كار كوماك: «في شقة مخفية في قصر تاريو، احتفظ الجيداك بفتاة جميلة من إيحاءاته، على أمل أن تصبح دائمة ذات يوم. وقد

شاهدتها هناك، إنها رائعة! لكني آمل -من أجلها- ألا ينجح تاريو معها كما نجح معي. والآن، أيها الرجل الأحمر، لقد أخبرتك عن نفسي، ماذا عنك؟»

أحب كارثوريس وجه رامي السهام وطريقته. ولم تظهر على تعبيراته أي علامة على الشك أو الخوف خلال اقترابه من الهيليومي المدجج بالسلاح، كما أنه تحدث مباشرة وبوضوح.

أخبر أمير هيليوم رامي السهام عن لوثار، وعن المغامرة التي أتت به إلى هذا البلد البعيد.

وعندما أنهى حديثه، قال الآخر: «حسنًا! كار كوماك سيرافقك. معًا سنجد أميرة بتارث، ومعك سيعود كار كوماك إلى عالم الرجال- العالم الذي عرفه في الماضي البعيد، عندما كانت سفن لوثار الجبارة تجوب ثروكسس الغاضب، والأمواج الصاخبة تهزم حاجز هذه التلال القاحلة الكئيبة».

سأله كارثوريس: «ماذا تعني؟ هل كنت موجودًا بالفعل سابقًا؟».

أجاب كار كوماك: «بالتأكيد. كنت سابقًا قائد أساطيل لوثار، أقوى من كل الأساطيل التي أبحرت في البحار المالحة الخمسة».

«أينما عاش الرجال في برسوم، كان اسم كار كوماك معروفًا ويحظى بالاحترام. كانت الأعراق تعيش في سلام في تلك الأيام البعيدة، ولم يكن هناك محاربون سوى البحارة. لكن مجد الماضي تلاشى الآن؛ ولم أكن أعتقد -إلى أن قابلتك- أن هناك مَن بقي في برسوم من جنسنا

الذي عاش وأحب وحارب كما فعل قدامى البحارة في عصري».

«آه، ولكن من الجيد أن أرى الرجال مرة أخرى، الرجال الحقيقيين! فلم أحترم كثيرًا مواطني بلدي اليوم. فهم يبقون داخل مدنهم المسورة، ويهدرون وقتهم في اللعب، ويعتمدون كليًّا على عِرق البحر لحمايتهم. أما المخلوقات المسكينة التي لا زالت باقية، أمثال تاريو وجاف في لوثار، فهم أسوأ حتى من أسلافهم القدماء».

تشكك كارثوريس قليلًا في مدى حكمة السماح لغريب أن يرافقه؛ فهناك دائمًا احتمال أنه ليس سوى صورة وهمية غادرة يحاول تاريو أو جاف ممارستها عليه. ومع صدق أسلوب وكلمات رامي السهام، وما أبداه كمقاتل، تعذر كارثوريس أن يجد في قلبه شعورًا بالشك فيه.

وفي النهاية، وافق كارثوريس أن يرافقه الأودوار العاري، وأخذا معًا يقتفيان أثر ثوفيا وكومال.

قادهم الأثر إلى قاع البحر، ثم اختفى كما توقع كارثوريس. لكن اتجاه الأثر كان يشير إلى آنتور، ولذا تحول الاثنان نحوها.

كانت رحلة طويلة وشاقة، ومحفوفة بالعديد من المخاطر. لم يكن بمقدور رامي السهام أن يتحرك بنفس وتيرة كارثوريس، حيث تحمله عضلاته بسرعة كبيرة على هذا الكوكب الصغير الذي تقل قوة جاذبيته كثيرًا عن قوة الجاذبية في كوكب الأرض. يصل متوسط حركة الشخص المريخي خمسين ميلًا في اليوم، لكن ابن جون كارتر يمكنه بسهولة أن يقطع مائة ميل أو أكثر إذا قرر أن يهجر رفيقه الجديد.

كانا طول الطريق في خطر دائم من أن تكتشفهما عصابات التوركواس المتجولة، لا سيما قبل وصولهما إلى حدود توركواس.

كان الحظ حليفهما. فعلى الرغم من رصدهما لكتيبتين من الرجال الخُضر الوحشيين، لم تقع أعين الكتيبتين عليهما.

شاهدا عن بُعد، في صباح اليوم الثالث، القباب اللامعة لآنتور. أجهد كارثوريس عينيه طوال الرحلة بحثًا عن ثوفيا والبانث الضخم؛ لكنه لم يلمح بعد أي شيء يعطيه الأمل.

رأى الرجلان في هذا الصباح، في منتصف الطريق بينهما وبين آنتور، هيئتين صغيرتين تتحركان في اتجاه المدينة. راقباهما بعناية للحظة، ثم قفز كارثوريس، بناء على اقتناعه، إلى الأمام وهو يركض بسرعة، وأعقبه كار كوماك بأسرع ما يستطيع.

صاح الهيليومي لجذب انتباه الفتاة، التي استدارت ووقفت تطلع إليه. وقف إلى جوارها البانث الضخم، وأذناه مرفوعتان، يرقب الرجل الذي يقترب.

لم تتعرف ثوفيا بعد على كارثوريس، على الرغم من أنها كانت تبدو مقتنعة أنه هو؛ لأنها وقفت تنتظر دون أي علامة على الخوف.

رآها الآن تشير نحو الشمال الغربي خلفه. أدار عينيه في الاتجاه الذي أشارت إليه، دون أن يقلل سرعته.

كان يركض خلفه بصمت على الغطاء النباتي الكثيف، على مسافة نصف ميل، عشرات المحاربين الخُضر الشرسين، متجهين نحوه فوق

حيواناتهم الثوات القوية لمهاجمته.

كان كار كوماك على يمينهم، عاريًا وغير مسلح، ويركض ببسالة صائحًا تجاه كارثوريس لتحذيره؛ حيث اكتشف لتوه أيضًا هذه المجموعة الصامتة تقترب بسرعة مهددة، برماحها المسننة وسيوفها الطويلة جاهزة.

صاح كارثوريس إلى اللوثاري لتحذيره كي يتراجع، فهو يعرف أن الرجل ليس في وسعه سوى التضحية بلا جدوى بحياته بوضع نفسه، وهو غير مسلح، في مسار المتوحشين القساة عديمي الرحمة.

لكن كار كوماك لم يتردد أبدًا. وبصيحات التشجيع لصديقه الجديد، تقدم مسرعًا نحو أمير هيليوم. قفز قلب الرجل الأحمر أمام هذه الشجاعة والتضحية بالنفس. وشعر بالأسف؛ لأنه لم يفكر في إعطاء كار كوماك أحد سيوفه، ولكن فات أوان محاولة القيام بذلك؛ لأنه إذا انتظر أن يلحق به اللوثاري أو يعود هو لملاقاته، سيصل التوركواسيون إلى ثوفيا قبل أن يتمكن من تحقيق ذلك.

وحتى إن كان الأمر كذلك، فسيكون سباقًا حول مَن يصل إليها أولًا.

أدار وجهه نحوها ثانية. ورأى من طريق آنتور، قوة جديدة تسرع نحوها: طائرتان حربيتان من الحجم المتوسط. وتمكن، حتى من على هذه المسافة منه، تمييز الشعار على مقدماتهما.

يبدو أمل ثوفيا البتارثية ضئيلًا الآن، في واقع الأمر. يسرع نحوها

المحاربون المتوحشون من جحافل توركواس من أحد الاتجاهات، ويتوجه نحوها من الاتجاه الآخر أعداء لا يقلون شراسة، على شكل مخلوقات أستوك، أمير دوسار، بينما لا يدافع عنها سوى بانث ومحارب أحمر ورامي سهام أعزل. كانت في محنة يائسة تمامًا، وخسرت قضيتها حتى قبل أن يبدأ النزاع.

عندما شاهدت ثوفيا كارثوريس يقترب، انتابها ثانية ذلك الشعور بالراحة الكامل لإلقاء المسؤولية على عاتقه، والخوف الذي أحسته في مناسبة سابقة. ولم تكن قادرة على التفكير، حيث لا يزال عقلها يحاول إقناع قلبها أن أمير هيليوم كان متورطًا في اختطافها من بلاط والدها. لم تكن تعرف سوى أنها شعرت بالسعادة عندما كان إلى جوارها، وأنها تشعر معه أن كل شيء يبدو ممكنًا؛ حتى الأمور المستحيلة، مثل الهرب من مأزقها الحالي.

توقف أمامها الآن لاهثًا. أضاءت ابتسامة تشجيع جسورة وجهه.

همس: «تشجعي أميرتي».

ومضت في ذاكرة الفتاة مناسبة استخدامه لتلك الكلمات نفسها- في قاعة عرش تاريو اللوثاري، عندما بدأ انزلاقهما إلى أسفل الأرض الرخامية نحو مصير مجهول.

لم توبخه حينذاك لاستخدام هذه الكلمات المألوفة، كما لم توبخه الآن، على الرغم من أنها كانت موعودة لشخص آخر. وتعجبت من نفسها، والدم يتدفق في وجهها لشعورها بالقيام بشيء مشين؛ ففي برسوم، من الـمُخجِل أن تستمع امرأة إلى هاتين الكلمتين من شخص

آخر غير زوجها أو خطيبها.

لاحظ كارثوريس ذلك، وندم على كلماته. لم تبقَ سوى لحظات قبل أن ينقضَّ المحاربون الخُضر عليهما.

قال بصوت منخفض: «أرجو أن تسامحيني! فعذري هو حبي الكبير لكِ، واعتقادي بأن ما يتبقى لي من حياة لا يزيد عن لحظة»، ثم التفت بعد هذه العبارة ليواجه المحاربين الخُضر.

كان الخُضر يهاجمون برماح مسننة، وعندما اقترب أحدهم، قفز كارثوريس إلى أحد الجانب، وترك الثوات الضخم وراكبه يعبران دون أن يلحق بهما أذى، ثم سدد ضربة جبارة بسيفه الطويل شطرت جسد الرجل الأخضر إلى نصفين.

وفي اللحظة نفسها، قفز كار كوماك وأمسك بيديه العاريتين ساق راكب ضخم آخر. أسرعت بقية المجموعة نحو ركن قريب، وترجلوا جميعًا لاستخدام سيوفهم الطويلة المفضلة. لمست طائرات دوسار البساط الأصفر الناعمة لقاع البحر، واندفع من داخلها خمسون مقاتل. وهنا اندفع كومال نحو هذا البحر المتلاطم من السيوف البتارة القاسية.



الفصل (١١)

الرجال الخُضر والقرود البيضاء

سدد أحد التوركواس بسيفه ضربة خاطفة إلى جبهة كارثوريس. رأى ذراعين ناعمتين حول رقبته، وشفاهًا دافئة قريبة من شفتيه، قبل أن يفقد وعيه.

لم يخمن كم من الوقت بقي هناك راقدًا وهو فاقد الوعي. وعندما فتح عينيه، كان بمفرده، وإن تناثرت حوله جثث الموتى من الرجال الخُضر ورجال دوسار، وجثة البانث الضخم ملقاة بجانبه.

لم يجد ثوفيا، كما لم يجد جثة كار كوماك بين القتلى.

شق كارثوريس طريقه ببطء وضعف، نتيجة للدماء التي فقدها، نحو آنتور، ووصل إلى مشارفها عند الظلام.

كان بحاجة إلى المياه أكثر من أي شيء آخر، ولذا واصل طريقه عبر درب واسع نحو الساحة المركزية الكبيرة، حيث يعرف أن بإمكانه العثور على السائل الثمين في مبنى نصف مُدمَّر في مواجهة القصر الكبير للجيداك القديم الذي حَكَم هذه المدينة الجبارة في يوم ما.

شعر بالانزعاج والإحباط من تسلسل الأحداث التي يبدو أنها مُقدَرة مسبقًا لإعاقة كل محاولة يبذلها لخدمة أميرة بتارث، ولم يُلقِ بالًا بالبيئة المحيطة، وواصل سيره عبر المدينة المهجورة كأنما لا توجد قرود بيضاء كبيرة مختفية في ظلال الأكوام السوداء التي يكتنفها الغموض وتحيط بالطرق الواسعة والميدان الكبير.

وإذا كان كارثوريس لم يُلقِ بالًا إلى البيئة المحيطة، فهناك أعين أخرى كانت تراقب دخوله إلى الساحة، وتتبع خطاه البطيئة نحو كومة الرخام التي يسكنها نبع صغير، شبه مخنوق، يصعب الحصول على مياهه إلا بحفر حفرة عميقة في الرمال الحمراء التي تغطيه.

ما إن دخل الهيليومي إلى المبنى الصغير، حتى ظهرت من مدخل القصر دزينة من عشرة أجسام قبيحة تسرع نحوه بلا ضجيج عبر الساحة.

ظل كارثوريس في المبنى لمدة نصف ساعة، حفر وحصل على بعض قطرات المياه القليلة الضرورية التي أثمر عنها جهده، ثم نهض وغادر المكان ببطء. وبمجرد تجاوزه عتبة المبنى، هاجمته دزينة المحاربين التوركواسيين.

لم يتح له الوقت سحب سيفه الطويل؛ لكن خنجره الطويل النحيل سرعان ما طار من عتاده. وما إن انخفض كارثوريس أسفلهم، حتى توقف أكثر من قلب أخضر عن الخفقان من طعنات الخنجر الحاد.

تغلبوا عليه، وأبعدوا عنه أسلحته. لكن تسعة فقط من المحاربين الاثني عشر هم مَن بقوا ليعبروا الساحة بهذه الجائزة.

قاموا بجر سجينهم بخشونة إلى حُفر القصر، حيث قيدوه في الظلام المطبق بسلاسل ترتبط بالبناء الحجري الصلب للجدار من خلال وصلات صدئة.

وقالوا: «سيتحدث معك ثار بان غدًا، فهو نائم الآن. لكنه سيسعد كثيرًا عندما يعرف مَن الذي كان يتجول بيننا، كما سيسعد هورتان جور كثيرًا عندما يسحب ثار بان أمامه الأحمق المجنون الذين تجرأ على طعن الجيداك العظيم بسيفه».

ثم تركوه للصمت والظلام.

جلس كارثوريس القرفصاء، لفترة بدت ساعات، على أرضية سجنه الحجرية. سند ظهره إلى الجدار الذي غاص داخله ترباس ضخم لتأمين السلسلة التي تقيده.

تناهى إلى سمعه، وسط السواد الغامض أمامه، صوت أقدام عارية تتحرك خلسة على الأرضية الحجرية، وتقترب تدريجيًّا إلى حيث يجلس بلا سلاح ودون قدرة على الدفاع عن نفسه.

مرت دقائق، كأنها ساعات، من صمت كالقبر، أعقبها تكرار الاحتكاك الغريب لأقدام عارية تتسلل نحوه بحذر.

وأخيرًا سمع صوت اندفاع مفاجئ للأقدام العارية عبر السواد الفارغ؛ ثم سمع، على مسافة قصيرة، صوت شجار وتنفس ثقيل، كما سمع ما تصور أنها لعنات يتمتم بها رجل يقاتل احتمالات كبيرة؛ ثم صوت سلسلة، وضوضاء احتكاك إحدى الوصلات مقطوعة بحجر.

ساد الصمت ثانية، وإنما للحظة فقط. يسمع الآن مرة أخرى صوت أقدام تقترب منه بهدوء. تصور أنه ميّز أعينًا شريرة تلمع نحوه بخوف خلال الظلام، وكان يعرف أن بإمكانه سماع تنفس ثقيل لرئات قوية.

وهنا، اندفعت نحوه العديد من الأقدام، وانقضت عليه هذه «الأشياء».

أمسكت أيدٍ تنتهي بأصابع تشبه أصابع الإنسان بحلقه وذراعيه وساقيه. هاجمته أجساد مكسوة بالشَّعر، قاتلها ببشرته الملساء في ظل صمت كئيب؛ قاتل هؤلاء الخصوم المروعين في ظلمات حفر آنتور القديمة.

كانت عضلات كارثوريس الهيليومي قوية كالعملاق، لكنه كان عاجزًا كامرأة ضعيفة في براثن هذه المخلوقات غير المرئية في ليل تلك الحفرة الجهنمي.

على أنه لم يكفَّ عن القتال، بل أخذ يوجه ضربات عقيمة ضد صدور ضخمة كثيفة الشعر لا يراها؛ لكنه يشعر بحلوقها السميكة تحت أصابعه، ولعابها يسيل على خده، وتدخل أنفاسها ورائحة فمها الكريهة إلى أنفه.

الأنياب أيضًا، كان يعرف أن أنيابها القوية قريبة. لكنه لم يستطع أن يُخمن سبب عدم غرسها لأنيابها في جسده.

وأخيرًا، تمكن من إدراك مدى قوة اندفاع عدد من خصومه جيئة وذهابًا على السلسلة الضخمة التي تقيده. والآن، جاءه نفس الصوت

الذي سمعه على مسافة قصيرة قبل تعرضه للهجوم بوقت قصير. لقد انفصلت سلسلته، وارتدت نهايتها المكسورة نحو الجدار الحجري ثانية.

تم الإمساك به الآن من الجانبين وسحبه بسرعة خلال ممرات مظلمة، نحو مصير لا يستطع حتى تخمينه.

تصور في البداية أن خصومه من قبيلة توركواس، لكن أجسامهم المكسوة بالشَّعر نفت هذا الاعتقاد. وأخيرًا أصبح موقنًا إلى حد بعيد من هوية خصومه، مع أنه لم يتصور سبب عدم قتلهم له والتهامه على الفور.

وبعد نصف ساعة أو أكثر من حركة سريعة خلال ممرات تحت الأرض -وهي من السمات المميزة لجميع مدن برسوم، سواء الحديثة أو القديمة- ظهر خاطفوه فجأةً تحت ضوء القمر في الفناء، بعيدًا عن الساحة المركزية.

أدرك كارثوريس على الفور أنه في قبضة قبيلة من القرود البيضاء الكبيرة في برسوم. كل ما أثار شكوكه من قبل حول هوية مهاجميه كانت صدورهم غزيرة الشَّعر؛ فالقرود البيضاء بلا شَعر على الإطلاق، باستثناء خصلة كبيرة تنتصب فوق رؤوسهم.

أدرك الآن سبب خديعته؛ إذ يوجد على طول صدر كل منهم شرائط من جلد مُشعِر، عادة من جلد حيوان البانث، لمحاكاة عتاد المحاربين الخُضر الذين يعسكرون كثيرًا في تلك المدينة المهجورة.

كان كارثوريس قد قرأ سابقًا عن قبائل القرود التي يبدو أنها تتقدم ببطء نحو مستويات أعلى من الذكاء. أدرك أنه وقع في أيدي هؤلاء. ولكن، ما نواياهم نحوه؟

طاف ببصره حول الفناء، ورأى خمسين وحشًا بشعًا يجلسون القرفصاء، وعلى مسافة صغيرة منه يوجد إنسان آخر تحت حراسة مشددة.

وعندما التقت عيناه بالأسير، أضاءت ابتسامة وجه الأسير وصاح قائلًا: «كاور، أيها الرجل الأحمر!»- كان كار كوماك، رامي السهام.

صاح كارثوريس: «كاور! كيف جئت إلى هنا، وماذا حل بالأميرة؟».

أجاب كار كوماك: «هبط رجال حُمر مثلك من سفن قوية تبحر في الهواء، مثلما كانت السفن الكبيرة في عصري تبحر عبر البحار الخمسة، وحاربوا رجل توركواس الخُضر، كما قتلوا كومال، إلهة لوثار. تصورت أنهم أصدقاؤك، وكنت سعيدًا عندما حمل مَن نجا منهم من المعركة الفتاة الحمراء على إحدى السفن وأبحروا بعيدًا بأمان في الهواء».

«ثم أمسكني الرجال الخُضر، وأخذوني إلى مدينة كبيرة فارغة، حيث قيدوني بالسلاسل إلى جدار في حفرة سوداء. وبعد ذلك، جاء هؤلاء وجروني إلى هنا. والآن، ماذا عنك أيها الرجل الأحمر؟».

قص عليه كارثوريس كل ما أصابه، وخلال حديثهما تجمع القردة

وجلسوا القرفصاء حولهم وهم يراقبونهم بإمعان.

سأل رامي السهام: «ماذا نفعل الآن؟».

أجابه كارثوريس بأسى: «يبدو أننا في حالة ميؤوس منها. إن هذه المخلوقات تولد آكلة للحم البشر، ولا أعرف لماذا لم يلتهمونا حتى الآن. انظر!»، قال هامسًا: «هل ترى؟ النهاية قادمة».

نظر كار كوماك في الاتجاه الذي أشار إليه كارثوريس، ورأى قردًا ضخمًا يتقدم ومعه هراوة قوية.

قال كارثوريس: «إنهم يفضلون قتل فرائسهم».

سأله كار كوماك: «أيجب أن نموت دون صراع؟».

أجابه كارثوريس: «كلا، على الرغم من أنني أعرف أن أفضل ما يمكننا من دفاع سيكون بلا جدوى ضد هؤلاء المتوحشين الأشداء! أوه، كم أتمنى أن أحصل على سيفي الطويل!».

قال كار كوماك: «أو قوس جيد»، ثم أضاف، «وأوتان من الرماة».

وهنا حاول كارثوريس الوقوف على قدميه، لكن حارسه منعه بخشونة.

صاح: «كار كوماك! لماذا لا تفعل مثل تاريو وجاف؟ لم يكن لديهما رماة غير مَن تصنعهم مخيلتهما. أنت تعرف بالتأكيد سر قوتهما. يمكنك بالمثل استدعاء أوتانك، كار كوماك!».

اتسعت عينا اللوثاري، ونظر إلى عينَي كارثوريس في دهشة تحمل معنى فهمه لفحوى الفكرة.

وتمتم قائلًا: «ولمَ لا؟».

كان القرد الوحشي، حامل الهراوة القوية، يتحرك في اتجاه كارثوريس. كانت أصابع الهيليومي تعمل، مع إبقاء عينيه على جلاده. ركز كار كوماك بصره النفّاذ على القرود. وكان العرق الذي يتصبب على حاجبيه المقطبين يدل على الجهد الذي يبذله عقله.

كان المخلوق المتجه لقتل الرجل الأحمر على بُعد ذراع تقريبًا من فريسته، عندما سمع كارثوريس صيحات غليظة الصوت تأتي من الجانب الآخر للفناء. اتجه بصره، وبصر القرود الجاثمين والشيطان حامل الهراوة، في اتجاه الصوت. شاهدوا مجموعة من الرماة الأشداء تسرع نحوهم من مدخل مبنى قريب.

قفزت القرود واقفة وهي تطلق صيحات الغضب لمواجهة هذا الهجوم. التقى بهم وابل السهام في منتصف المسافة، وسقط عشرات منهم بلا حياة على الأرض. اشتبك باقي القرود مع خصومهم. وانصب كل اهتمامهم على المهاجمين، حتى الحراس تركوا السجينين للانضمام إلى المعركة.

همس كار كوماك: «هيا! يمكننا أن نهرب الآن، بينما يثير الرماة انتباههم».

صاح كارثوريس، الذي انتفضت طبيعته الوفيه عند سماع هذا الاقتراح البسيط: «ونترك هؤلاء الزملاء الشجعان بلا قائد!».

ضحك كاركوماك.

وقال: «أنسيت، إنهم ليسوا سوى فراغ، من نسج خيالي. وسيتلاشون دون أن يصابوا بأي أذى، عندما تنتفي حاجتنا إليهم. فليفخر بك أسلافك الأوائل أيها الرجل الأحمر، إن واتتك هذه الفكرة الآن! فمن المستحيل أنني كنت لأتخيل أن أمارس نفس القدرة التي جلبتني إلى حيز الوجود».

قال كارثوريس: «أنت على حق. ومع ذلك، أكره أن أتركهم، على الرغم من عدم وجود أي شيء يمكن القيام به». ومضى الاثنان ليخرجا من الفناء، ويشقان طريقهما إلى أحد الطرقات الواسعة. تسللا خلسة في ظلال المبنى، نحو الساحة المركزية الكبرى التي كان المحاربون الخُضر يشغلون مبانيها عندما زارا المدينة مهجورة.

توقف كارثوريس عندما وصلا إلى حافة الساحة.

وهمس قائلًا: «انتظر هنا، سأذهب لإحضار حيوانين ثوات؛ فلا يمكن أن نأمل في الهرب من براثن هذه الشياطين الخضراء إذا واصلنا سيرًا على الأقدام».

للوصول إلى الفناء الذي توجد فيه حيوانات الثوات، كان من الضروري أن يمر كارثوريس عبر أحد المباني التي تحيط بالساحة. لم يكن بمقدوره تخمين أي منها مسكون وأي منها فارغ؛ ولذا كان مضطرًّا إلى توخي الحذر واقتناص فرصة الموقع الذي قد يسمع فيه أنين البهائم وشجارها الذي لا يهدأ.

قادته الصدفة، عبر مدخل مظلم، إلى غرفة كبيرة تضم دزينة أو أكثر من المحاربين الخُضر يرقدون ويغطيهم حرير وفراء النوم. عبر

كارثوريس ردهة قصيرة تصل بين باب المبنى والغرفة الكبيرة وراءه، وهنا أدرك وجود شيء أو شخص في الردهة التي عبر منها لتوه.

سمع رجلًا يتثاءب، ورأى خلفه هيئة حارس ينهض من مكان غفوته، ويتمطع استكمالًا لاستيقاظه.

أدرك كارثوريس أنه مر بالقرب من المحارب، على مسافة قدم تقريبًا، وهذا دون شك ما جعله يستيقظ. التراجع الآن مستحيل. لكن المرور خلال هذه الغرفة التي تغص بمحاربين نيام يبدو مستحيلًا بالقدر نفسه.

هز كارثوريس كتفيه العريضتين واختار أهون الشرور، ودخل الغرفة بحذر. وجد على يمينه العديد من السيوف والبنادق والرماح تستند بميل على الجدار- إنها أسلحة إضافية كدسها المحاربون بجوارهم بحيث تكون في متناول إيديهم إذا ما أيقظهم من سباتهم فجأة أي إنذار ليلي. كان كل منهم ينام وبجواره سلاحه، الذي لم يكن بعيدًا أبدًا عن صاحبه منذ طفولته وحتى موته.

أثار مرأى السيوف حكة في راحة يد الشاب. خطا نحوهم بسرعة، واختار سيفين قصيرين، واحد له والثاني لكار كوماك، كما أخذ أيضًا بعض الأغطية لرفيقه العاري.

تحرك مباشرة عبر وسط الشقة، بين التوركواسيين النيام.

لم يتحرك أي رجل منهم إلى أن أكمل كارثوريس أكثر من نصف الرحلة القصيرة المحفوفة بالمخاطر، ثم تقلب أحد الرجال بقلق فوق

حرير وفراء نومه، بحيث أصبح مباشرة في طريق كارثوريس.

توقف كارثورس، وفي يده أحد السيوف القصيرة في وضع الاستعداد في حال إذا استيقظ المحارب. استمر الرجل الأخضر يتقلب في قلق، للحظات بدت دهرًا للأمير الشاب، ثم انطلق فجأة على قدميه، كأنما دفعه زنبرك، وواجه الرجل الأحمر.

سدد له كارثوريس ضربة على الفور، ولكن ليس قبل أن يصدر من بين شفاه الطرف الآخر صوت كالنخير. وفي لحظة، سادت الغرفة حالة من الاضطراب. نهض المحاربون، وهم يمسكون أسلحتهم ويتصايحون لمعرفة تفسير هذا الاضطراب.

بالنسبة لكارثوريس، كان كل شيء داخل الغرفة مرئيًّا بوضوح في الضوء الخافت المنعكس من الخارج؛ فقد كان القمر الأبعد في ذروته. أما بالنسبة لأعين الرجال الخُضر، الذين استيقظوا لتوهم، فلم تكن الأشياء قد اتخذت بعد أشكالها المألوفة؛ ولذا لم يروا سوى أشكال غير واضحة تمامًا لمحاربين يتحركون في الشقة.

تعثر أحدهم الآن في جثة زميلهم الذي قتله كارثوريس. انحنى الرجل، وجاءت يده فوق الجمجمة المشقوقة. شاهد حوله هيئات عملاقة لرجال خُضر آخرين، وبالتالي قفز إلى الاستنتاج الوحيد الذي كان متاحًا أمامه.

صاح: «الثورد![٢٤] الثورد يهاجمون! انهضوا يا محاربي توركواس،

---

(٢٤) الثورد: جماعة تسكن في مدينة مريخية تُسمَّى ثورد، وهم في عداء دائم مع التوركواسيين- http://barsoom.wikia.com/wiki/Thurd- المترجمة.

ووجهوا السيوف داخل قلوب أعداء توركواس القدماء!».

بدأ الرجال الخُضر على الفور يمتشقون سيوفهم، وقد ثارت شهوتهم الوحشية للمعركة، للقتال والقتل والموت بسيوف باردة يدفنونها في أجساد أعدائهم! آه، هذه كانت سعادتهم القصوى.

أدرك كارثوريس بسرعة خطأهم، وقرر الاستفادة منه. كان يعرف أنهم لن يستمروا في الشعور بمتعة القتل عند اكتشافهم لخطئهم، إلا إذا انصرف انتباههم إلى السبب الحقيقي للمشاجرة التي وقعت. ولذا لم يهدر وقته في استمرار عبور الغرفة إلى مدخلها عند طرفها الآخر الذي يفتتح على الفناء الداخلي، حيث تئن حيوانات الثوات الوحشية وتتقاتل فيما بينها.

لم تكن مهمته يسيرة؛ فالإمساك بأحد هذه الوحوش الغاضبة العنيدة عادة ليس بالأمر الهين حتى في أفضل الظروف. والآن، حيث الصمت والوقت اعتبارات مهمة، يبدو الأمر ميؤوسًا منه تمامًا لرجل أقل حيلة وتفاؤلًا من ابن أمير الحرب العظيم.

لقد تعلم الكثير من والده حول صفات هذه الحيوانات القوية، كما تعلم أيضًا من تارس تاركاس عندما زار هذا الجيداك الأخضر العظيم وشعبه في ثارك. ولذا أخذ يركز كل تفكيره على ما عرفه عنهم من الآخرين ومن تجربته الخاصة؛ فقد امتطاهم أيضًا وتعامل معهم مرات عديدة.

بدا أن طبع ثوات التوركواس أكثر حدة من طبع أبناء عمومتهم الأشداء في ثارك ووارهون، كما بدا لدقائق غير مرجحٍ أن يفلت من

هجوم وحشي من ثورين عجوزين يدوران وهما يئنان خلال تحركهما حوله؛ لكنه نجح أخيرًا في الاقتراب من أحدهما بما يكفي للمسه. هدأ المخلوق عندما شعر بيد كارثوريس على جلده الأملس، ثم استجاب لأوامر الرجل الأحمر عبر توارد الخواطر وجثا على ركبتيه.

وفي لحظة أصبح كارثوريس على ظهره، ووجهه نحو البوابة الكبرى التي تؤدي عبر مبنى كبير من الفناء إلى أحد أطراف طريق خلفه.

سار الثور الآخر، وهو يئن في غضب، في أعقاب زميله. لا يوجد لجام على أي منهما؛ فالإيحاء هو ما يتحكم تمامًا في هذه المخلوقات الغريبة، إن أمكن أصلًا التحكم فيها.

وحتى في أيدي الرجال الخُضر العمالقة، سيكون زمام اللجام بلا جدوى ضد وحشية وجنون وقوة الثوات الهائلة؛ ولذا لا يمكن توجيه الحيوان إلا بتلك القوة الغريبة، قوة توارد الخواطر، التي تعلم رجال المريخ استخدامها للتواصل بطريقة بدائية مع الكائنات الأقل مرتبة على كوكبهم.

تمكن كارثوريس بصعوبة من حث الوحشين حتى وصلوا إلى البوابة، ثم انحنى ورفع مزلاجها. ثم وضع الثواث الذي يركبه كتفه الضخم على الألواح الخشبية ودفعها للأمام، وفي لحظة أصبح كارثوريس ومعه الحيوانان في الخارج، يتحركون بصمت على الطريق الموصل إلى حافة الساحة حيث اختبأ كار كوماك.

وهنا وجد كارثوريس صعوبة كبيرة في إخضاع الثوات الثاني. ونظرًا لأن كار كوماك لم يركب من قبل أحد هذه الوحوش، بدت

المهمة يائسة؛ لكن رامي السهام تمكن أخيرًا من امتطاء ظهر الحيوان الأملس، واتخذ الوحشان طريقهما مرة أخرى بهدوء فوق الدروب التي تنمو عليها الطحالب، وفي اتجاه قاع البحر خارج المدينة.

واصل الرجلان طريقهما فوق الثوات طوال تلك الليلة، وفي اليوم التالي والليلة الثانية، نحو الشمال الشرقي. لم تظهر أي علامة على مطاردة. وفي فجر اليوم الثاني، رأى كارثوريس على مسافة منهما شرائط تلوح من أشجار كبيرة، وهي علامة على أحد الممرات المائية الطويلة في برسوم.

ترجلا على الفور واقتربا من المنطقة المزروعة سيرًا على الأقدام. تخلص كارثوريس أيضًا من عتاده، أو جزء منه؛ لأنه قد يؤدي إلى التعرف عليه كهيليومي، أو أنه من الدم الملكي؛ فلم يكن يعرف ما الأمة التي ينتمي إليها هذا الممر المائي، ومن الأفضل دائمًا في المريخ أن تفترض أن كل رجل وكل أمة من خصومك إلى أن تتأكد من عكس ذلك.

كان الوقت منتصف الضحى تقريبًا عندما دخل الاثنان أخيرًا إلى طريق يخترق المناطق المزروعة على مساحات منتظمة، ثم يربط المساحات القاحلة على الجانبين بطرق بيضاء وواسعة، تمضي خلال المركز من أحد أطراف أراضي المزارع البعيدة التي تشبه خيطًا ممتدًّا إلى طرفها الآخر.

كان الجدار المرتفع المحيط بالحقول بمثابة حماية في مواجهة أي غارة مفاجئة من الجحافل الخضراء، فضلًا عن أنه يبعد حيوانات البانث

المتوحشة وغيرها من آكلات اللحوم عن الحيوانات الأليفة والبشر في المزارع.

توقف كارثوريس أمام أول بوابة وصل إليها، وطرق عليها طالبًا الدخول. حياهما بترحاب الشاب الذي أجاب على النداء، وتطلع بتعجب إلى بشرة رامي السهام البيضاء وشعره الكستنائي.

وبعد أن استمع إلى سردهما الجزئي لهروبهما من التوركواسيين، دعاهما إلى الداخل واقتادهما إلى منزله وأمر الخدم بإعداد الطعام لهما.

وخلال انتظارهما في غرفة المعيشة اللطيفة ذات السقف المنخفض في منزل المزرعة، إلى أن تجهز الوجبة، تحدث كارثوريس مع مضيفه حتى يعرف جنسيته، ويتعرف على الأمة التي يقع تحت سيادتها المجرى المائي الذي قادته إليه الظروف.

قال الشاب: «أنا هال فاس، ابن فاس كور من دوسار، نبيل في حاشية أستوك، أمير دوسار. وحاليًا، أنا دوّار[٢٥] الطريق في هذه المنطقة».

كان كارثوريس سعيدًا جدًّا لأنه لم يكشف عن هويته. وعلى الرغم من أنه ليست لديه أي فكرة عن أي شيء حدث منذ مغادرته هيليوم، أو أن أستوك هو سبب محنته الأساسي، فهو يعرف جيدًا أن الدوساريين لا يكنون له الحب، وأنه لا يمكن أن يأمل في أي مساعدة داخل الأراضي المملوكة لدوسار.

---

(٢٥) دوار: رتبة مريخية تعادل رتبة كابتن (نقيب)- -http://barsoom.wikia.com/wiki/Dwar- المترجمة.

سأله هال فاس: «ومَن أنت؟ يمكنني القول من مظهرك أنك مقاتل، ولكني لا أرى أي شارات على عتادك. هل يمكن أن تكون بانثان؟»[٢٦].

أصبح شائعًا في برسوم الآن وجود جنود متجولون يسعون إلى الثروة، حيث معظم الرجال يحبون القتال. وهم يبيعون خدماتهم أينما توجد حرب؛ وعندما لا توجد حرب منظمة بين الأمم الحمراء، فهم ينضمون أحيانًا لفترات قصيرة إلى إحدى الحملات العديدة التي تُرسل باستمرار ضد الرجال الخُضر لحماية المجاري المائية التي تعتبر أكثر المناطق قفرًا على الوكب.

وعندما تنتهي خدمتهم، يتخلصون من معدن الأمة التي قدموا لها خدماتهم إلى أن يجدوا قيادة جديدة. وفي الفواصل الزمنية بين المعارك، لا يرتدون أي شارات ويكفي عتادهم الحربي وأسلحتهم شاهدًا على إمكانية استدعائهم.

كان اقتراح الشاب جيدًا، واقتنص كارثوريس الفرصة التي أتاحها له. لكنها كانت تنطوي على عيب واحد. ففي فترات الحرب، يضطر البانثان إلى ارتداء شارات الأمة المحاربة التي يقعون في نطاقها، والقتال مع محاربيها.

كان كارثوريس يعرف أن دوسار ليست في حالة حرب مع أي أمة أخرى، على أنه لا أحد يعرف أبدًا متى تبدأ أي أمة حمراء الحرب مع أمة مجاورة، على الرغم من أن التحالف القوي الكبير الذي يقع والده جون

---

(٢٦) بانثان: هو جندي مريخي مرتزق، يتنقل من مكان لآخر ويقاتل لصالح مَن يرغب في شراء خدماته- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Panthan* - المترجمة.

كارتر على قمته قد تمكن من المحافظة على سلام طويل في الجزء الأكبر من برسوم.

أضاءت ابتسامة لطيفة وجه هال فاس عندما أبلغه كارثوريس بمهنته.

وهتف الشاب قائلًا: «هذه مصادفة جيدة أن تأتي إلى هنا، حيث سرعان ما سنحتاج إلى خدماتك. معي الآن والدي فاس كور، الذي جاء هنا لتجنيد قوة من أجل الحرب الجديدة ضد هيليوم».



الفصل (١٢)

إنقاذ دوسار

ثوفيا البتارثية، التي تقاتل من أجل أكثر من مجرد حياة ضد شهوة جاف، ألقت لمحة سريعة من فوق كتفها نحو الغابة التي صدر منها هدير شرس. نظر جاف أيضًا.

أثار ما شاهداه تخوفهما. كان كومال، البانث-الرب، يهرع نحوهما وفكاه مفتوحان على اتساعهما!

تُرى مَن الذي اختاره كفريسته؟ أم أنه اختار كليهما على حد سواء؟

لم يطل انتظارهما؛ فعلى الرغم من أن اللوثاري حاول وضع الفتاة بينه وبين الأنياب الرهيبة، فقد وصل إليه الوحش الضخم أخيرًا.

صرخ وحاول الفرار نحو لوثار، بعد أن دفع بثوفيا في وجه آكل لحوم البشر. لكن رحلة فراره كانت قصيرة؛ إذ انقض عليه كومال في لحظة، ومزق حلقه وصدره بغضب شيطاني.

وصلت الفتاة إلى جانبهم خلال لحظات، وتمكنت بصعوبة من انتزاع الوحش المجنون بعيدًا عن فريسته. وأخيرًا سمح البانث للفتاة

أن تقوده إلى داخل الغابة، وهو لا يزال يهدر ويُلقي نظرات جائعة نحو جاف.

مضت ثوفيا قدمًا، وبجوارها حاميها العملاق، بحثًا عن الممرات عبر المنحدرات، في محاولة بطولية تبدو مستحيلة للوصل إلى بتارث البعيدة التي تقع على مسافة تزيد على سبعة عشر ألف هاد في برسوم الوحشية.

لم تستطع أن تصدق أن كارثوريس تعمد هجرها، وظلت تراقبه؛ لكنها قطعت مسافة إلى الشمال بحثًا عن النفق، وتجاوزت الهيليومي؛ لأنه عاد إلى لوثار بحثًا عنها.

واجهت ثوفيا صعوبة في تحديد الموضع الدقيق لأمير هيليوم في قلبها. لم تستطع أن تعترف حتى لنفسها أنها تحبه، ومع ذلك سمحت له أن يستخدم كلمة العاطفة التي يجب على أي فتاة في برسوم أن تصم آذانها عند سماعها من شفاه أخرى غير شفاه زوجها أو خطيبها: «أميرتي».

كان كولان تيث، جيداك كاول، الذي كانت مخطوبة له، يحظى باحترامها وإعجابها. إذا كانت قد استسلمت لرغبة والدها، بسبب غيظها من أن الهيليومي الوسيم لم يستغل زياراته لبلاط والدها لطلب يدها، إلا أنها متأكدة تمامًا أنه يفكر فيها منذ ذلك اليوم البعيد عندما جلسا معًا على المقعد المنحوت في حديقة الجيداك الرائعة التي تزين الفناء الداخلي لقصر سالينسوس أوول في مدينة كادابرا؟

هل تحب كولان تيث؟ حاولت بشجاعة أن تعتقد أنها تحبه؛ لكن

عينيها تطوفان في الوقت نفسه عبر الظلام بحثًا عن هيئة المحارب النحيل، أسود الشعر، ذي الأعين الرمادية. كان كولان تيث أسود الشعر، لكن عينيه بنيتان.

كان الظلام قد خيّم تقريبًا عندما وجدت مدخل النفق. مرت بأمان خلال التلال وراءه، وهنا توقفت تحت ضوء القمرين المريخيين الساطعين، لتضع خطة تحركها التالية.

هل يجب أن تنتظر هنا على أمل أن يعود كارثوريس بحثًا عنها؟ أو عليها أن تواصل طريقها في اتجاه الشمال الشرقي نحو بتارث؟ أين كان سيذهب كارثوريس أولًا بعد أن يترك وادي لوثار؟

أعطاها جفاف حلقها ولسانها الجواب: نحو آنتور والمياه. حسنًا، تذهب أولًا أيضًا إلى آنتور، حيث تجد أكثر من الماء الذي تحتاجه.

لم تشعر بالخوف كثيرًا، نظرًا لوجود كومال بجوارها؛ فهو سيحميها من سائر الحيوانات المتوحشة. ستهرب القرود البيضاء الكبيرة مرتعبة من رؤية البانث الجبار. ربما عليها أن تخشى من الرجال، لكنها يجب أن تنتهز هذه الفرصة وغيرها من الفرص العديدة الأخرى قبل أن تأمل في الوصول إلى بلاط والدها مرة أخرى.

وبعد أن وجدها كارثوريس أخيرًا، تعرض لضربة سيف طويل من رجل أخضر، وأخذت ثوفيا تصلي لأن يلحق بها نفس المصير.

أدى مشهد المحاربين الحُمر، الذين يقفزون من طائراتهم، إلى تجدد أملها للحظة، الأمل في أن كارثوريس مغمى عليه فقط وأنهم

سوف ينقذونه. وما إن شاهدت معدن دوسار على عتاد المحاربين، وأنهم لا يسعون إلا لأخذها والهرب من هجوم التوركواسيين، حتى استسلمت.

مات كومال أيضًا، مات إلى جانب جسم الهيليومي. أصبحت، في واقع الأمر، بمفردها الآن، لا يوجد مَن يحميها.

سحبها محاربو دوسار إلى سطح أقرب طائرة. التف المحاربون الخُضر حولهم في محاولة لانتزاعها من الحُمر.

وأخيرًا تمكن مَن لم يمت في هذا النزاع من الوصول إلى سطحي السفينتين الفضائيتين. اهتزت المحركات وأصدرت صوتًا كالخرير، ودارت المراوح. وسرعان ما انطلقت هذه الزوارق السريعة.

نظرت ثوفيا حولها. وقف رجل بالقرب منها مبتسمًا لها. نظرت إليه مليًّا وتعرفت عليه، ثم دفنت وجهها بين يديها وهي تئن من الرعب والفهم، وغطست على سطح السفينة الخشبي المصقول. لقد كان أستوك، أمير دوسار، هو مَن مال نحوها.

أسرعت طائرات أستوك الدوساري، إذ كان في عظيم الحاجة إلى الوصل لبلاط والده في أسرع وقت ممكن؛ ذلك أن الأساطيل الحربية لهيليوم وبتارث وكاول كانت تتناثر في جميع الأنحاء فوق برسوم. وليس من الجيد بالنسبة لأستوك الدوساري أن يكتشف أي من هذه الأساطيل وجود ثوفيا البتارثية سجينة على سفينته الخاصة.

تقع آنتور عند الدرجة الخمسين جنوب خط العرض، والأربعين

شرق هورز -المقر المهجور للثقافة والتعليم في برسوم القديمة- بينما تقع دوسار على مسافة خمس عشرة درجة شمال خط الاستواء، وعشرين درجة من هورز.

وعلى الرغم من أنها مسافة كبيرة، فقد قطعتها الطائرات دون توقف. وقبل وصولهم إلى وجهتهم بفترة طويلة، عرفت ثوفيا العديد من الأشياء التي بددت الشكوك التي هاجمت عقلها لأيام عديدة. بمجرد ارتفاع الطائرة فوق آنتور، تعرفت على أحد أفراد الطاقم بوصفه كان أحد أفراد طاقم الطائرة الأخرى التي أخذتها من حدائق والدها إلى آنتور. كما أن وجود أستوك على الطائرة، حل اللغز كاملًا. لقد اختطفها مبعوثو أمير دوسار، ولا علاقة لكارثوريس بذلك.

ولم ينكر أستوك التهمة عندما واجهته، بل ابتسم وأقر بحبه لها. وعندما كرر طلبه بالزواج منها، صاحت: «ربما أُفضِّل قردًا أبيض!».

حملق نحوها أستوك بوقاحة.

وقال هادرًا: «ستتزوجينني يا ثوفيا البتارثية، أو أقسم بجدك الأول سأحقق لكِ تفضيلكِ وتتزوجين من قرد أبيض».

لم ترد الفتاة، كما لم يتمكن أستوك من جذبها إلى محادثة خلال ما تبقى من الرحلة.

كان أستوك يشعر -في واقع الأمر- ببعض الخوف من أبعاد النزاع الذي نجم عن اختطافه لأميرة بتارث، كما لم يشعر براحة كبيرة لتحمله وطأة المسؤولية التي تنطوي على الاحتفاظ بمثل هذه السجينة.

انصب تفكيره الوحيد على أخذها إلى دوسار، وهناك يترك والده يتحمل المسؤولية. وفي الوقت نفسه، سيتوخَّى الحرص قدر الإمكان حتى لا يفعل أي شيء يسبب إهانتها، خشية أن يتم القبض عليهم جميعًا ويصبح عليه تفسير معاملته للفتاة أمام أحد الجيداك العظماء الذي تتركز مصلحته عليها.

وصلوا أخيرًا إلى دوسار، وأخفى أستوك سجينته في غرفة سرية عالية بالبرج الشرقي لقصره. وجعل رجاله يقسمون على الصمت بشأن هوية الفتاة؛ فلم يكن يريد أن يعرف أحد عما أحضر معه من الجنوب إلى أن يرى والده، نوتوس، جيداك دوسار.

وعندما ظهر في القاعة العامة الكبرى أمام والده، الرجل غليظ الشفاه، فقد شجاعته ولم يجرؤ على إخباره بأنه يخفي الأميرة داخل قصره. تبادر إلى ذهنه اختبار مشاعر والده في هذا الموضوع، وبالتالي أخبره بقصة إلقاء القبض على أحد الذين يزعمون معرفة مصير ثوفيا البتارثية.

وقال: «إذا أمرتني يا مولاي، سأذهب وأمسك بها وأحضرها هنا إلى دوسار».

عبس نوتوس، وهز رأسه.

«لقد فعلت ما يكفي بالفعل لتجعل بتارث وكاول وهيليوم يهاجموننا على الفور إذا ما عرفوا دورك في اختطاف أميرة بتارث. إن نجاحك في تحويل الذنب نحو أمير هيليوم كان من حسن حظك واستراتيجية تحرك بارعة. ولكن إن عرفت الفتاة الحقيقة وعادت إلى بلاط والدها، فستدفع

دوسار كلها الثمن؛ ووجودها هنا سجينة بيننا سيكون اعترافًا بالذنب الذي لن ينقذنا أحد من عواقبه. سيكلفني عرشي، يا أستوك، ولست مستعدًّا لذلك».

«إذا كانت لدينا هنا ...»، بدأ الرجل الكهل يفكر، ويكرر هذه العبارة مرارًا وتكرارًا. وصاح بشراسة: «إذا كانت لدينا هنا، أستوك. آه، إذا كانت لدينا هنا، ولا يعرف أحد أنها هنا! ألا يمكنك أن تخمن يا رجل؟ عندئذ سندفن ذنب دوسار مع عظامها إلى الأبد»، هكذا أنهى حديثه في همس ووحشية.

ارتجف أستوك، أمير دوسار.

كان ضعيفًا؛ نعم، لكنه شرير أيضًا. لكن الاقتراح الذي كانت كلمات والده تعنيه ضمنًا جعله يشعر ببرودة ورعب.

يتسم رجال المريخ بالقسوة تجاه أعدائهم؛ لكن تفسير كلمة «الأعداء» يعني عادة الرجال فقط. والاغتيال يثير أعمال الشغب في المدن البرسومية الكبرى؛ لكن قتل امرأة يُعد جريمة لا يمكن تصورها، حتى أشد القتلة المأجورين سيبتعدون عنك في رعب إذا أشرت إليهم بذلك.

يبدو أن نوتوس لم يلحظ الرعب الواضح على ابنه من اقتراحه. وتابع قائلًا:

«أنت تقول أنك تعرف مكان اختباء الفتاة؛ لأنها سُرقت من رجالك في آنتور. إذا وجدتها إحدى القوى الثلاثة، فإن قصتها غير المعتمدة

ستكفي لتحويلهم جميعًا ضدنا».

ثم صاح الكهل: «لا توجد سوى طريقة واحدة يا أستوك. يجب أن تعود فورًا إلى مكان اختبائها وتحضرها هنا بسرية. ألا زلت هنا! اذهب، ولا تعد إلى دوسار من دونها!».

كان أستوك، أمير دوسار، يعرف جيدًا مدى انفعال والده الملكي. وكان يعرف أن قلب الطاغية لا يضم نبضة حب واحدة لأي مخلوق.

لقد كانت والدة أستوك من العبيد، ولم يحبها نوتوس أبدًا، ولم يحب أي امرأة أخرى. وحاول في شبابه العثور على عروس في بلاط العديد من جيرانه الأقوياء، لكنَّ نساءهم لم تقبله.

وبعد أن سعت دزينة من فتيات نبلائه إلى الانتحار بدلًا من الزواج منه، قرر أن يكف عن البحث. لكنه تزوج رسميًّا من إحدى إمائه؛ لأنه كان يرغب في ابن يبرز بين الجِد عندما يموت ويجري اختيار جيداك جديد.

انسحب أستوك ببطء من حضرة والده. سار بوجه شاحب وأطرافه مهتزة إلى قصره. وخلال مروره في الفناء، ألقى لمحة سريعة على البرج الشرقي العظيم الذي يلوح في الأفق عاليًا في السماء الصافية.

وعندئذ تدفقت حبات العرق على جبينه.

أيتها الإلهة إيسوس! لا تثق فيَّ أي يد أخرى غير يده للقيام بالشيء المروع. بأصابعه، عليه أن يسحق الحياة من ذلك الحلق الجميل، أو يدفن نصلًا صامتًا في القلب الأحمر.

قلبها! القلب الذي كان يأمل أن يفيض بالحب له!

ولكن، هل كان قلبها ليفعل ذلك؟ وتذكر احتقارها المتعجرف الذي استقبلت به إعلانه حبها. شعر بالبرودة ثم بالحرارة عندما طافت هذه الفكرة بذاكرته. هدأ وخز ضميره، عندما شعر بالرضى الذاتي لانتقامه القريب بعد أن تلاشت غرائزه الرقيقة التي أكدت نفسها من لحظة - تلاشت الصفات الجيدة التي ورثها من والدته العبدة، وغرق ثانية في الدماء الفاسدة التي ورثها من والد الملكي؛ كما كان دومًا، في نهاية المطاف.

حلت ابتسامة باردة محل الرعب الذي وسّع عينيه. استدار ليتجه نحو البرج. قرر أن يراها قبل أن يخرج إلى الرحلة التي يخفي بها على والده حقيقة أن الفتاة في دوسار بالفعل.

سار بهدوء في الطريق السري، وصعد المدرج الحلزوني إلى الشقة التي حبس فيها أميرة بتارث.

عندما دخل الغرفة، شاهد الفتاة تتكئ عند حافة النافذة الشرقية، وتحدق فوق أسقف مباني دوسار نحو بتارث البعيدة. كان يكره بتارث. امتلأ غضبًا. لماذا لا ينتهي منها الآن؟

استدارت بسرعة نحوه ما إن سمعت صوت خطواته. آه، كم هي جميلة! تلاشى عزمه المفاجئ أمام الضوء الرائع الصادر من جمالها العجيب. سينتظر إلى أن يعود من رحلته الخداعية القصيرة؛ ربما يجد عندئذ طريقة أخرى. قد تسدد يد أخرى الضربة؛ فمع ذلك الوجه، وتلك الأعين أمامه، كان على يقين أنه لن يتمكن أبدًا من قتلها. كان يفخر

دائمًا بقسوة طبيعته، ولكن، يا إيسوس! لم يكن بهذا القدر من القسوة. كلا، يجب أن يعثر على شخص آخر، شخص يمكنه أن يثق به.

لا يزال ينظر إليها وهي تقف أمامه تنظر نحوه في ثبات ودون خوف. شعر بعاطفة حبه الحارة تتصاعد.

لماذا لا يطلب يدها مرة أخرى؟ إذا لانت، سيصبح كل شيء على ما يرام. حتى إذا لم يتمكن من إقناع والده، يمكنه أن يأخذها إلى بتارث، ويلقي لوم الخديعة والمؤامرات التي جعلت أربع أمم كبرى تتقاتل على عاتق نوتوس. ومن هناك يشك في عدالة الاتهام؟

قال: «ثوفيا، لقد جئت ثانية، للمرة الأخيرة، لأضع قلبي أمام قدميكِ. إن بتارث وكاول ودوسار في حرب الآن مع هيليوم بسببك. تزوجيني يا ثوفيا، وتصبح الأمور كلها على ما يرام».

هزت الفتاة رأسها.

قال قبل أن تتكلم: «انتظري! يجب أن تعرفي الحقيقة قبل أن تتفوهي بكلمات قد تنهي مصيركِ وأيضًا مصير الآلاف من المحاربين الذين يتقاتلون بسببكِ».

«إن رفضكِ لزواجي عن طيب خاطر، سيحيل دوسار إلى خراب إذا عرفت بتارث وكاول وهيليوم الحقيقة. سيدمرون مدننا تمامًا، دون أن يتركوا حجرًا واحدًا فوق آخر. وسيبعثرون شعوبنا على سطح برسوم، من الشمال المتجمد إلى الجنوب المتجمد، ويطاردونهم ويذبحونهم، حتى تصبح هذه الأمة العظيمة مجرد ذكرى مكروهة في عقول الرجال».

«لكنهم مع إبادتهم للدوساريين، ستموت آلاف لا تُعد ولا تُحصى من محاربيهم. وكل ذلك، بسبب عناد امرأة لا ترغب في الزواج من الأمير الذي يحبها».

«يمكنكِ أن ترفضي زواجي يا ثوفيا، وعندئذ لن يتبقى سوى بديل واحد: لن يعرف أي رجل مصيركِ على الإطلاق. لا يعرف غيري وعدد قليل من الموالين المخلصين لوالدي الملك أن أستوك، أمير دوسار، هو مَن اختطفك من حدائق ثوفان ديهن، أو ستصرين اليوم سجينة في قصري».

«برفضكِ يا ثوفيا، يجب أن تموتي لإنقاذ دوسار؛ ولا توجد أي وسيلة أخرى. هذا قرار الجيداك نوتوس. لقد أنهيت حديثي».

ظلت الفتاة توجه نظراتها للحظات طوال نحو وجه أستوك الدوساري، ثم تحدثت. وعلى الرغم من أن كلماتها القليلة، حملت نبرة صوتها الفاترة عمقًا مبهمًا من الاحتقار البارد.

قالت: «إن كل ما هددتني به أفضل منك».

ثم حولت ظهرها عنه، وذهبت لتقف ثانية أمام النافذة الشرقية، وهي تحدق بعينين حزينتين نحو بتارث البعيدة.

استدار أستوك وغادر الغرفة، ثم عاد بعد فترة قصيرة ومعه طعام وشراب.

قال: «هذا زادكِ حتى أعود ثانية. الشخص التالي الذي سيدخل هذه الشقة سيكون جلادكِ. تذكري أسلافكِ يا ثوفيا، ففي غضون أيام قليلة ستكونين معهم».

ثم ذهب.

وبعد نصف ساعة كان يجري مقابلة مع ضابط برتبة عالية في بحرية دوسار.

سأله: «أين ذهب فاس كور؟ فهو ليس في قصره».

رد الآخر: «إلى الجنوب، إلى المجرى المائي العظيم الذي يحيط بتوركواس. وابنه، هال فاس، هو دوار الطريق هناك، وقد ذهب إليه فاس كور لتجنيد عمال المزارع».

«جيد»، قال أستوك، وبعد نصف ساعة أخرى كان يرتفع فوق دوسار في أسرع طائراته.



الفصل (١٣)

تورجون، البانتان

لم يبدُ على وجه كارثوريس الهيليومي أي دليل على المشاعر التي زلزلته داخليًا عندما سمع من شفاه هال فاس أن هيليوم في حرب مع دوسار، وأن مصيره ألقاه في خدمة العدو.

لكن اغتنامه لهذه الفرصة لصالح هيليوم لا يكفي لموازنة شعوره بالكدر؛ لأنه لا يقاتل صراحة على رأس قواته الوفية.

قد يبدو الهروب من الدوساريين يسيرًا؛ ولكن ربما ليس كذلك. إذا شكوا في ولائه (لا سيما أن ولاء البانتان محل شك دائمًا)، قد لا يجد فرصة للتملص من يقظتهم إلى أن تنتهي الحرب، وهذا لا يحدث في أيام، أو قد لا يحدث ثانية إلا بعد سنوات طويلة مضجرة من إراقة الدماء.

وتذكر أن التاريخ سجل الحروب التي استمرت خلالها العمليات العسكرية الفعلية دون توقف لخمسمائة أو ستمائة سنة، ويوجد حتى الآن في برسوم أممٌ لا يوجد بينها وبين هيليوم سلام.

لم تكن التوقعات سعيدة. لكنه لا يستطيع تخمين أنه في غضون ساعات قليلة سوف يدرك نعمة المصير الذي ألقاه في خدمة دوسار.

صاح هال فاس: «آه! ها قد وصل والدي الآن. كاور! فاس كور. يوجد هنا شخص سيسعدك مقابلته، بانتان شجاع...»، تردد للحظة.

قاطعه كارثوريس: «تورجون»، وهو أول اسم تبادر إلى ذهنه.

وخلال حديثه، وقعت عيناه سريعًا على المحارب طويل القامة الذي كان يدخل الغرفة. أين رأى من قبل هذه الهيئة العملاقة، وهذه الملامح الخرساء، وهذا القطع من الصدغ إلى الفم بواسطة سيف؟

«فاس كور»، كرر كارثوريس في عقله. «فاس كور!»، أين رأى هذا الرجل من قبل؟

وعندما تحدث النبيل، تجلى كل شيء كالضوء الخاطف في ذاكرة كارثوريس: إنه الخادم الأمامي عند منصة الهبوط في بتارث، عندما كان يشرح تعقيدات بوصلته الجديدة لثوفان ديهن؛ وهو العبد الوحيد الذي كان يحرس حظيرة طائرته في تلك الليلة التي غادر بطائرته التي حملته إلى رحلته المشؤومة متجهًا إلى بتارث، الرحلة التي قد أوصلته إلى آنتور في ظروف لا تزال غامضة حتى الآن.

كرر كارثوريس بصوت عال: «فاس كور، فليبارك أسلافك هذا اللقاء». لم يخمن الدوساري المعنى الضمني الذي يكمن خلف هذه العبارة المبتذلة التي يستهل بها برسومي التعارف.

أجاب فاس كور: «وليبارك أسلافك يا تورجون».

والآن جاء دور تقديم كار كوماك إلى فاس كور. ونظرًا لأن كارثوريس كان طرفًا في هذا الحفل الصغير، فقد فكر في تفسير وحيد للبشرة البيضاء والشعر الكستنائي لدى رامي السهام؛ لأنه يخشى من أنهم لن يصدقوا الحقيقة، بل سيلقي قولها بظلال الشك عليهما منذ البداية.

قال موضحًا: «كار كوماك، كما ترون، هو من الثيرن. وقد تجول مسافات بعيدة عن معابده في الجنوب الذي يكسوه الجليد بحثًا عن مغامرة. وقد التقيت به في حُفر آنتور. ومع أنني لا أعرفه سوى من فترة قصيرة، يمكنني أن أشهد على شجاعته وولائه».

منذ تدمير نسيج عقيدتهم الزائف على يد جون كارتر، قَبِل غالبية الثيرن بسرور النظام الجديد، بحيث لم يعُد الآن من غير المألوف أن نراهم يختلطون مع الرجال الحُمر في أي من مدن العالم الخارجي الكبرى، ولذا لم يشعر فاس كور أو يعبر عن أي دهشة كبيرة.

ظلّ كارثوريس يراقب، كالقط، كل شيء خلال المقابلة ليكشف أي علامة تدل على أن فاس كور أدرك أن البانتان الجريح ليس سوى أمير هيليوم الرائع. لكن الليالي الطوال بلا نوم، والسير والقتال لأيام عديدة، فضلًا عن الجروح والدماء الجافة، كانت كافية لطمس بقايا الشبه بهيئته السابقة؛ كما أن فاس كور رآه مرتين فقط طوال حياته، فلا عجب أنه لم يتعرف عليه.

أعلن فاس كور، خلال المساء، أنهم سيرحلون غدًا نحو الشمال تجاه دوسار، ويجمعون المجندين في المحطات المختلفة على طول الطريق.

كانت توجد، في حقل كبير خلف المنزل، سفينة نقل فضائية حربية متوسطة الحجم، تسع العديد من الرجال، لكنها سريعة ومسلحة جيدًا أيضًا. نام داخلها كارثوريس، وكار كوماك أيضًا، بالإضافة إلى المجندين الآخرين، تحت حراسة محاربي دوسار الذين يديرونها.

عاد فاس كور، حوالي منتصف الليل، إلى السفينة من منزل ابنه، واتجه على الفور إلى مقصورته. كانت نوبة حراسة كارثوريس مع محارب دوساري. كتم كارثوريس بصعوبة ابتسامة باردة عندما مر النبيل على مسافة قدم أمامه، أي على مسافة قدم من النصل النحيل الطويل الذي يتأرجح من عتاد الهيليومي.

يا لها من طريقة سهلة! يا لها من وسيلة سهلة للانتقام من الحيلة الجبانة التي مارسوها ضده، للانتقام لهيليوم وبتارث وثوفيا!

لكن يده لم تتحرك نحو مقبض الخنجر؛ إذ يجب الاستفادة من فاس كور على نحو يخدم غرضه أفضل، فربما يعرف أين يخفون ثوفيا البتارثية الآن، إذا كان الدوساريون هم فعلًا مَن اختطفوها أثناء القتال أمام آنتور.

كما أن هناك أيضًا الـمُحرض على هذه المؤامرة القذرة برمتها، ويجب معاقبته؛ وهل يوجد أفضل من فاس كور ليقود أمير هيليوم إلى أستوك الدوساري؟».

تناهى إلى سمع كارثوريس صوت مُحرك بعيد يصدر خافتًا خلال الليل. نظر إلى السماء متفحصًا.

نعم، على مسافة بعيدة في الشمال، هناك ملامح طائرة تتحدد في فراغ الفضاء المظلم الممتد بلا نهاية، تطير غير مضاءة عبر ليل برسوم.

لم يعط كارثوريس أي علامة على رؤيته لها؛ لأنه لا يعرف إن كانت من أصدقاء دوسار أو أعدائها، لكنه أدار عينيه في اتجاه آخر، وترك الأمر للدوساري الذي يتولى الحراسة معه.

اكتشف زميله الطائرة القادمة، وضغط على زر الإنذار المنخفض، ما جعل باقي الحراس والضابط ينهضون من حرير وفراء النوم على سطح السفينة.

كانت سفينة النقل مستقرة على الأرض وغير مضاءة، وبالتالي غير مرئية على الإطلاق للطائرة القادمة التي اتضح الآن أنها صغيرة الحجم.

وسرعان ما ظهر أن الغريب القادم ينوي الهبوط، فقد أخذت طائرته الآن تنخفض حلزونيًا وتهبط برشاقة تدريجية مع كل انحناء.

همس محارب دوساري: «إنها السفينة الفضائية ثوريا، إنني أميزها في هذا السواد من بين عشرة آلاف طائرة أخرى».

صاح فاس كور، الذي جاء إلى سطح السفينة: «أنت محق!»، ثم قال مُرحبًا:

«كاور، ثوريا!».

وصدرت الآن «كاور!» من أعلى بعد صمت قصير. ثم: «ما هذه السفينة؟».

«إنها سفينة النقل كالكسوس، يا فاس كور من دوسار».

وجاءت كلمة «جيد!» من أعلى، ثم «هل يمكن الهبوط الآمن هنا؟».

«نعم، بالقرب من الميمنة. انتظر، وسوف نُضيء أنوارنا»، وخلال لحظات استقرت الطائرة الصغيرة بجوار كالكسوس، التي أُطفئت عندئذ أنوارها على الفور مرة أخرى.

نزلت عدة شخصيات من جانب الطائرة ثوريا، وتقدموا نحو السفينة كالكسوس. ونظرًا للتشكك الدائم، استعد الدوساريون لاستقبال الزوار كأصدقاء أو خصوم حسبما يُثبت الفحص الدقيق. وقف كارثوريس بالقرب من درابزين السفينة، مستعدًّا لاتخاذ جانب القادمين الجدد إذا تصادف أنهم من هيليوم وينفذون استراتيجية جريئة فوق هذه السفينة الدوسارية المنفردة. لقد سبق أن قاد بنفسه مجموعات مماثلة، ويعرف أن هذا الاحتمال ممكن تمامًا.

لكن وجه أول رجل يمر عبر الدرابزين أفاقه من أوهامه بصدمة غير سارة على الإطلاق- كان وجه أستوك، أمير دوسار.

بالكاد ما لاحظ أستوك الآخرين على ظهر السفينة كالكسوس، وسار قدمًا ليتلقى تحية فاس كور، ثم استدعى النبيل لينزل معه. عاد المحاربون والضباط إلى حرير وفراء النوم، وأصبح سطح السفينة خاليًا مرة أخرى إلا من المحارب الدوساري وتورجون، البانثان، المكلفين بالحراسة.

سار الأخير بهدوء ذهابًا وإيابًا. وانحنى الأول على الدرابزين، متمنيًّا انتهاء وقت الحراسة. لم يرَ رفيقه وهو يقترب من أضواء مقصورة فاس كور. ولم يرَه وهو ينحني ويضع إذنه بالقرب من مروحة التهوية.

كان أستوك يقول بأسف: «لتلتهمنا جميعًا القرود البيضاء، إن لم نزمجر بقبح على نحو لم تشهده من قبل! نوتوس يعتقد أننا نعرف أنها تختبئ في مكان بعيد عن دوسار. وأمرني أن أحضرها».

توقف عن الحديث. كان يجب ألا يسمع أي شخص الكلمات التي تخرج من شفتيه؛ إذ كان من الضروري أن يظل سرًّا إلى الأبد بين نوتوس وأستوك؛ لأن سلامة العرش تتوقف عليه. وبهذه المعرفة، يمكن لأي رجل من أن ينتزع من جيداك دوسار ما يريده.

لكن أستوك كان خائفًا، وأراد أن يسمع من هذا الرجل الأكبر سنًّا اقتراحًا بديلًا. واصل حديثه.

همس وهو يتلفت حوله بخوف: «سأقتلها. لا يريد نوتوس سوى أن يرى الجسد ليتأكد من تنفيذ أوامره. ومن المفترض الآن أنني ذهبت إلى موقع اختبائها لأحضرها في سرية تامة إلى دوسار. ويجب ألا يعرف أحد على الإطلاق أنها كانت في حوزة دوساري. لست بحاجة إلى أن أخبرك ماذا سيصيب دوسار إذا عرفت بتارث وهيليوم وكاول الحقيقة».

أطبق المستمع الواقف بجوار مروحة التهوية فكيه بصوت غاضب. كان يُخمن مسبقًا طبيعة موضوع هذه المحادثة. لكنه عرف الآن. سيقتلونها! تسمرت عضلات أصابعه إلى حد أن انغرست أظافره في راحة يده.

كان فاس كور يقول: «وتريد مني أن أذهب معك للبحث عنها وإحضارها إلى دوسار. أين هي؟».

مال أستوك نحو زميله وهمس في أذنه. لاحت ابتسامة على وجه فاس كور القاسي؛ حيث أدرك حجم القوة التي أصبحت في قبضته. يجب أن يفوز بمنصب جِد على الأقل.

سأل العجوز بلطف: «وكيف يمكنني مساعدتك يا أميري؟».

قال أستوك: «لا يمكنني قتلها. باسم الإلهة إيسوس! لا يمكن أن أفعل ذلك! عندما توجه عينيها نحوي، يسيل قلبي كالماء».

ضاقت عينا فاس كور.

«وتريدني ...»، توقف عن الحديث، الأسئلة لم تنتهِ، لكنها اكتملت.

أومأ أستوك.

وقال: «أنت لا تحبها».

وأنهى كلامة بوضاعة: «لكني أحب حياتي، على الرغم من أنني مجرد نبيل من مرتبة دنيا».

صاح أستوك: «ستكون أكبر نبيل، نبيل من الدرجة الأولى!».

قال فاس كور صراحة: «أود منصب جِد».

تردد أستوك.

وقال متضرعًا: «يجب أن يموت الجِد قبل اختيار جِد آخر».

قاطعه فاس كور: «لقد مات أكثر من جِد. ولن يصعب عليك، دون شك، أن تعثر على جِد لا تحبه، أستوك، هناك العديد الذين لا يكنون لك الحب».

كان فاس كور قد بدأ بالفعل في امتلاك ناصية قوته على الأمير الشاب. ولاحظ أستوك بسرعة التغيير الماكر الذي طرأ على هذا الملازم. إنها خطة ماكرة دخلت دماغه الضعيف الشرير.

صاح: «كما تريد يا فاس كور! ستكون أنت الجِد عندما تنهي مهمتك»، ثم قال لنفسه: «ولن أجد صعوبة عندئذ في العثور على جِد لا أحبه».

سأله النبيل: «ومتى نعود إلى دوسار؟».

أجاب أستوك: «على الفور. لنرحل الآن، لا شيء يبقيك هنا».

«كنت أنوي الإبحار غدًا، لأخذ بعض المجندين الذين جمعهم الدوار، حراس الطرق، خلال عودتنا إلى دوسار».

قال أستوك: «لينتظر المجندون، أو حتى من الأفضل أن تأتي معي إلى دوسار على الطائرة ثوريا، وتدع السفينة كالكسوس تجمع المجندين وتتبعنا».

رضخ فاس كور قائلًا: «نعم، هذه أفضل خطة. هيا، أنا مستعد»، ونهض لمرافقة أستوك إلى طائرته.

نهض المستمع الواقف بجوار المروحة الهوائية على قدميه ببطء، مثل رجل كهل. كان وجهه مسحوبًا ومتألـمًا، ويبدو الشحوب الشديد على بشرته النحاسية الخفيفة. سيقتلونها! وهو عاجز عن تجنب المأساة. ولا يعرف حتى مكان سجنها.

أخذ الرجلان يصعدان من المقصورة إلى سطح السفينة. تسلل

تورجون، البانتان، مقتربًا من السلم، وأصابعه الملتوية تقبض بشدة على خنجره. هل يقتلهما قبل أن يتغلبا عليه؟ ابتسم. يمكنه أن يقتل أوتانًا من أعدائه بالكامل في حالته العقلية الراهنة.

إنهما الآن بجانبه تقريبًا، وكان أستوك يتحدث.

قال: «فاس كور، أحضر معك اثنين من رجالك؛ فلدينا نقص في القوى العاملة في الطائرة ثوريا. أسرع، حتى يمكننا الرحيل».

تركت أصابع البانتان مقبض الخنجر؛ إذ أدرك عقله سريعًا أن هناك فرصة لإنقاذ ثوفيا. قد يتم اختياره لمرافقة القتلة، وبمجرد أن يعرف مكان الأسيرة، سيقتل أستوك وفاس كور. لكن قتلهم قبل أن يعرف مكان اختباء ثوفيا، يعني ببساطة تركها للموت على أيدي آخرين؛ ذلك أن نوتوس سيعرف عاجلًا أو آجلًا مكانها، ولن يسمح لها نوتوس، جيداك دوسار، بالعيش.

وضع تورجون نفسه في مسار فاس كور حتى لا يغفل الأخير عن وجوده. أيقظ النبيل الرجال النائمين على سطح السفينة، وكان أمامه دائمًا البانتان الغريب الذي جنده في نفس اليوم الذي وجد فيه وسيلة لإبقاء نفسه في الصدارة.

التفت فاس كور ناحية الملازم، وأعطاه تعليمات إحضار كالكسوس إلى دوسار بعد جمع المجندين؛ ثم أشار إلى اثنين من المحاربين اللذين وقفا خلف البادوار.

وقال: «أنتما ستأتيان معنا على متن الطائرة ثوريا. عليكما وضع

أنفسكما تحت تصرف دوار الطائرة».

كان الظلام دامسًا على سطح السفينة كالكسوس، ولذا لم ينظر فاس كور جيدًا في وجهي الاثنين اللذين اختارهما؛ لكن ذلك لا يهم، لأنهما ليسا سوى محاربين عاديين للمساعدة في الواجبات العادية على الطائرة، والقتال إذا لزم الأمر.

كان أحدهما كار كوماك، رامي السهام، لكن الآخر لم يكن كارثوريس.

جُن الهيليومي بخيبة أمل، وانتزع خنجره من عتاده. لكن أستوك كان قد غادر السفينة كالكسوس بالفعل، وكارثوريس يعرف أنه قبل أن يلحق به، إذا قتل فاس كور، فسيقتله المحاربون الدوساريون، وعددهم كبير الآن على سطح السفينة. ستتعرض ثوفيا لخطر كبير إذا بقي أحدهما حيًّا، يجب قتل الاثنين!

عندما نزل فاس كور من السفينة إلى الأرض، تبعه كارثوريس بجرأة. لم يحاول أحد منعه، ظنًّا أنه دون شك أحد المرافقين.

جاء بعده كار كوماك والمحارب الدوساري الذي اختُير لأداء واجبه على الطائرة ثوريا. سار كارثوريس بالقرب من جانبه الأيسر. وصلوا الآن إلى الظل الكثيف أسفل جانب ثوريا، حيث كان الظلام شديدًا إلى حد أنه كان عليهم تلمس السلم.

سبق كار كوماك المحارب الدوساري. وما إن صعد الأخير إلى السلالم الدوارة المتأرجحة، حتى أطبقت أصابع فولاذية على قصبته

الهوائية واخترق نصل صلب قلبه.

كان تورجون، البانتان، آخر مَن تسلق درابزين الطائرة ثوريا، جاذبًا سلم الحبل وراءه.

وخلال لحظات، ارتفعت الطائرة بسرعة، متجهة إلى الشمال.

عند الدرابزين، استدار كار كوماك ليتحدث مع المحارب الذي اختُير لمرافقته. اتسعت عيناه عندما وقعت على وجه الشاب الذي قابله بجوار المنحدرات الجرانيتية التي تحرس لوثار الغامضة. كيف أتى بدلًا من المحارب الدوساري؟

وبعد إشارة سريعة، استدار كار كوماك ثانية ليجد دوار الطائرة ثوريا الذي يجب أن يقدم له نفسه لأداء واجباته. وسار خلفه البانتان.

كان كارثوريس سعيدًا لمصادفة اختيار فاس كور لرامي السهام من بين جميع الآخرين؛ فلو كان هناك دوساري آخر، لظهر تساؤل يحتاج إلى إجابة عن المحارب الذي يرقد بهدوء في الحقل خارج مقر إقامة هال فاس، دوار الطريق الجنوبي، ولن يجد كارثوريس إجابة على هذا السؤال غير سيفه، الذي لا يكفي وحده لإقناع طاقم ثوريا كله.

بدت الرحلة إلى دوسار بلا نهاية لكارثوريس الذي نفد صبره، على الرغم من أن الطائرة أنجزتها في واقع الأمر بسرعة. وقبل وصولهم إلى وجهتهم، اجتمعوا وتحدثوا مع طائرة حربية دوسارية أخرى، وعرفوا أن معركة كبيرة ستنشب قريبًا جنوب شرق دوسار.

لقد اعترض أسطول هيليوم البحري الجبار أساطيل دوسار وبتارث

وكاول مجتمعة في تقدمهم باتجاه هيليوم. وتُعد بحرية هيليوم الأكثر شراسة في برسوم، ليس من حيث العدد والتسليح فحسب، وإنما أيضًا من حيث تدريب وشجاعة ضباطها ومحاربيها، وضخامة العديد من سفنها الحربية الوحشية.

لا تنشب كثيرًا معركة مثل هذه. كان الجيداك الأربعة يقودون أساطيلهم مباشرة: كولان تيث من كاول، وثوفان ديهن من بتارث، ونوتوس من دوسار، على جانب؛ بينما كان تاردوس مورس، جيداك هيليوم، على الجانب الآخر، ومعه جون كارتر، أمير الحرب في المريخ.

ومن أقصى الشمال، كانت تتحرك قوة أخرى نحو الجنوب عبر المنحدرات الحاجزة: البحرية الجديدة لدى تالو، جيداك أوكار، استجابة لدعوة أمير الحرب. وعلى أسطح السفن الحربية المتجهمة، وقف رجال صُفر بلحى سوداء يتطلعون بلهفة إلى الجنوب. كان مظهرهم مبهرًا وهم يرتدون عباءات رائعة من جلود حيوانات الأورلوك[٢٧] والأبت[٢٨]. إنهم مقاتلون شرسون من المدن الدافئة في الشمال المتجمد.

ومن الجنوب البعيد، من بحر أوميان والمنحدرات الذهبية، من معابد الثيرن وحديقة إيسوس، أبحر آلاف آخرون نحو الشمال بناء على دعوة الرجل العظيم الذي تعلموا احترامه، واحترامه هو الحب. وكان

---

(٢٧) أورلوك: هو وحش شرس يشبه الفيل، يوجد على وجه الحصر تقريبًا في مناطق أقصى شمال المريخ- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Orluk*- المترجمة.

(٢٨) الأبت: مخلوق وحشي، يسكن القطب الشمالي في المريخ- *http://barsoom.wikia.com/wiki/Apt*- المترجمة.

قائد السفينة الرئيسة لهذا الأسطول الجبار، الذي يلي بحرية هيليوم، إيبون زودار، جيداك من الأبناء الأوائل[٢٩]، الذي كان قلبه يخفق بقوة توقعًا للحظة القادمة التي يبعث فيها بأطقمه الوحشية وسفنه الجبارة ضد أعداء أمير الحرب.

ولكن، هل سيصل هؤلاء الحلفاء إلى مسرح الحرب في الوقت المناسب لتكون ذات جدوى لهيليوم؟ أو، هل هيليوم في حاجة إليهم؟

سمع كارثوريس، مع سائر أعضاء طاقم ثوريا، القيل والقال والإشاعات. ولم يكن أحد يعرف أي شيء عن الأسطولين، القادم أحدهما من الجنوب والآخر من الشمال لدعم سفن هيليوم، بينما كانت دوسار كلها مقتنعة بأنه لا يوجد أي شيء الآن يمكن أن ينقذ قوة هيليوم القديمة من أن تُمحى إلى الأبد من سماء برسوم.

شعر كارثوريس أيضًا، ابن هيليوم الوفي، بأن أسطوله البحري حتى قد لا يقدر على النجاح في مواجهة القوات المشتركة للقوى الثلاث الكبرى.

لمست الطائرة ثوريا الآن منصة الهبوط فوق قصر أستوك. نزل الأمير وفاس كور في عجالة ودخلا المهبط الذي سيحملهما إلى المستويات الأدنى في القصر.

كان هناك مهبط آخر مجاور، يستخدمه المحاربون العاديون. أمسك وكارثوريس كار كوماك من ذراعه.

---

(٢٩) الأبناء الأوائل هم العِرق الأسود في المريخ- http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=First+Born -- المترجمة.

وقال هامسًا: «تعال! أنت صديقي الوحيد بين أمة من الأعداء. هل ستقف إلى جانبي؟».

أجاب كار كومار: «حتى الموت».

اقترب الاثنان من المهبط، الذي يتولى تشغيله أحد العبيد.

سأل العبد: «أين أوراق مروركما؟».

تظاهر كارثوريس بأنه يبحث في جيب حقيبته، بينما يدخل إلى المهبط في الوقت نفسه. تبعه كار كوماك، وأغلق الباب. لم يبدأ العبد في تشغيل المهبط. كل ثانية لها قيمتها. يجب أن يصلا إلى أدنى مستوى في أسرع وقت ممكن، حيثما اتجه أستوك وفاس كور، لمعرفة مكانهما.

استدار كارثوريس فجأة نحو العبد، وقذف به إلى الجانب الآخر من غرفة المهبط.

صاح كارثوريس: «قم بتقييده وتكميم فمه يا كار كوماك!».

أمسك كارثوريس بذراع التحكم، وانطلق المهبط بسرعة شديدة إلى أسفل، بينما كان رامي السهام يتعارك مع العبد. لا يستطع كارثوريس أن يترك ذراع التحكم لمساعدة رفيقه؛ لأن وصولهم إلى أدنى مستوى بهذه السرعة لا يعني إلا اندفاعهم نحو موت فوري.

تمكن كارثوريس الآن أن يرى أدناه سطح غرفة المهبط الذي يضم أستوك، في مدخل الهاوية الموازي، ولذا بدأ في تخفيض السرعة لتماثل سرعة المهبط الآخر. بدأ العبد يصرخ.

صاح كارثوريس: «اجعله يصمت!».

وفي لحظة تالية، كان العبد مكومًا على أرضية غرفة المهبط.

قال كار كوماك: «لقد صمت».

أوقف كارثوريس غرفة المهبط على نحو مفاجئ، عند أحد مستويات القصر العليا. فتح الباب، وأمسك بالعبد وقذفه به خارجًا، ثم أغلق الباب واستأنف الهبوط.

شاهد مرة أخرى سطح غرفة المهبط الذي يستقله أستوك وفاس كور. وعندما توقفت بعد لحظات، أوقف غرفة مهبطه، وشاهد الرجلين يختفيان في أحد مخارج الممر.

الفصل (١٤)

تضحية كولان تيث

في صباح اليوم الثاني لسجنها في البرج الشرقي لقصر أستوك، أمير دوسار، كانت ثوفيا البتارثية تنتظر في لا مبالاة مضجرة قدوم قاتلها.

لقد استنفدت كل إمكانية للهرب، بحثت مرارًا وتكرارًا الباب والنوافذ، والأرضية والجدران.

لم تتمكن حتى من خدش ألواح الخشب الصلبة؛ وزجاج النوافذ المتين في برسوم لا يتحطم بأي شيء أقل من مطرقة ثقيلة في يد رجل قوي. وكان الباب والقفل منيعين. لم يكن هناك أي مهرب. كما جردوها من أسلحتها حتى لا تتوقع ساعة موتها، وبالتالي تسرق منهم الارتياح بمشاهدة لحظاتها الأخيرة.

متى يأتون؟ هل سيقتلها أستوك بيديه؟ شكت في أن لديه الشجاعة. إنه شخص جبان، وقد عرفت ذلك منذ أن سمعته أول مرة يتفاخر كزائر في بلاط والدها، في محاولة لإقناعها بجرأته.

لم تستطع إلا مقارنته مع آخر. ومع مَن يمكن أن تقارن عروس

مخطوبة بخاطب غير ناجح؟ مع خطيبها؟ وهل ثوفيا البتارثية تقيس الآن أستوك الدوساري بمعايير كولان تيث، جيداك كاول؟

كانت على وشك الموت؛ ويمكنها أن تطوف بأفكارها كما تريد؛ على أن كولان تيث كان أبعد أفكارها. فقد كان الهيليومي الوسيم طويل القامة يشغل عقلها، مزاحمًا جميع الصور الأخرى.

لقد حلمت بوجهه النبيل، ووقار خطواته الهادئة، والابتسامة التي تضيء عينيه عندما يتحدث مع أصدقائه، والابتسامة التي تمس شفتيه وهو يحارب أعداءه- ابتسامة القتال لدى والده القادم من فيرجينيا.

وجدت ثوفيا البتارثية، ابنة برسوم بحق، أن نفسها يتسارع وقلبها يقفز لذكرى هذه الابتسامة الأخرى- الابتسامة التي لن تراها ثانية أبدًا. ومع تنهيدة قصيرة، غاصت الفتاة في كومة الحرير والفراء الملقاة في اختلاط أسفل النوافذ الشرقية، ودفنت وجهها بين ذراعيها.

وقف رجلان يتجادلان بحدة، في الممر الذي يقع خارج غرفة سجنها.

صاح أحدهم: «أقول لك مرة أخرى، يا أستوك، أنني لن أفعل ذلك إلا عندما تكون موجودًا في الغرفة».

بدا في لهجة المتحدث قليل من الاحترام الملكي الواجب؛ فاستشاط الآخر غضبًا.

وقاطعه قائلًا: «لا تُثقل كثيرًا صداقتي لك يا فاس كور، هناك حدود لصبري».

أجاب فاس كور: «مسألة الامتياز الملكي ليست مطروحة هنا. لقد طلبت مني أن أصبح قاتلًا بدلًا منه، وضد أوامر الجيداك الصارمة. أنت لست في موقع يتيح لك يا أستوك أي إملاءات؛ بل عليك بالأحرى أن تسعد بقبول طلبي المعقول أن تكون موجودًا، وبالتالي نتقاسم الشعور بالذنب. لماذا يجب أن أتحمل كل ذلك بمفردي؟».

تجهم الشاب، لكنه تقدم نحو الباب المغلق. وعندما انفتح الباب متأرجحًا على مفصلاته، دخل الغرفة إلى جانب فاس كور.

سمعت الفتاة صوت دخولهما، فنهضت واقفة، وواجهتهما. لم تشحب بشرتها النحاسية الناعمة إلا قليلًا؛ لكنَّ عينيها كانتا شجاعتين ومتجهتين للأمام، وكان ميل ذقنها المتعجرف الصغير الثابت أبلغ دليل على اشمئزازها واحتقارها.

سألها أستوك: «هل لا تزالين تفضلين الموت؟».

أجابت الفتاة ببرود: «نعم، أفضل الموت عليك».

التفت أمير دوسار إلى فاس كور، وأومأ له. سحب النبيل سيفه القصير، وعبر الغرفة في اتجاه ثوفيا.

قال لها آمرًا: «اركعي!».

أجابت: «أفضل أن أموت واقفة».

قال فاس كور، وهو يتحسس نصله بإبهامه الأيسر: «كما تريدين».

ثم قال وهو يسرع نحوها: «باسم نوتوس، جيداك دوسار!».

وهنا صدرت من اتجاه الباب صيحة بنبرة منخفضة: «باسم كارثوريس، أمير هيليوم!».

التفت فاس كور، ورأى البانتان الذي جنده في منزل ابنه يقفز نحوه. انطلق كارثوريس بخفة مارًّا بأستوك وقال له: «دورك بعده، أيها... الكالوت!».

انطلق فاس كور لمواجهة الهجوم.

وصاح قائلًا: «ما معنى هذه الخيانة؟».

قفز أستوك، حاملًا سيفه، لمساعدة فاس كور. اشتبك سيف البانتان بسيف النبيل، ومع أول اشتباك عرف فاس كور أنه يواجه مبارزًا متمرسًا.

وقبل أن يدرك جزئيًا غرض الرجل الغريب، وجده يقف بينه وبين ثوفيا البتارثية، محاصرًا في مواجهة سيفين دوساريين. لكنه لم يقاتل كرجل محاصر. فلم يكن أبدًا هو المعتدي، وعلى الرغم من أنه أبقى نصله يومض دائمًا بين الفتاة وأعدائها، فقد نجح في إجبارهم على التحرك في أنحاء الغرفة، طالبًا الفتاة أن تتبعه وتقف خلفه عن قرب.

لم يتصور أبدًا فاس كور أو أستوك، لفترة طويلة جدًّا، ماذا يدور في ذهن البانتان. وأخيرًا وقف الزميل وظهره نحو الباب، وأدرك كلاهما الأمر – لقد تم حصارهما في سجنهما نفسه، ويمكن أن يقتلهم الدخيل الآن إذا أراد؛ فقد كانت ثوفيا تغلق الباب في اتجاه الرجل، بعد أن أخذت المفتاح من الجانب المقابل حيث تركه أستوك بعد دخولهما.

أستوك، كعادته، عندما وجد أن العدو لم يسقط على الفور أمام

سيفيهما، وضع العبء الأكبر من القتال على كاهل فاس كور. والآن، اتسعت عيناه بعد أن دقق بعناية في البانتان؛ إذ بدأ يتعرف ببطء على ملامح أمير هيليوم.

كان الهيليومي يهاجم فاس كور بقوة، والنبيل ينزف من عشرات الجروح. وأدرك أستوك أنه لن يتمكن من الصمود طويلًا أمام براعة تلك اليد التي تقبض على السيف.

همس في أذن زميله: «تشجع يا فاس كور! لدي خطة. اضغط عليه لعدة لحظات، وسيمضي كل شيء على ما يرام»، لكنه لم يقل باقي الجملة، «مع أستوك، أمير دوسار»، بصوت مرتفع.

أومأ فاس كور رأسه، متصورًا عدم وجود غدر، ونجح للحظة في محاصرة كارثوريس. رأى كارثوريس والفتاة الأمير الدوساري يسرع نحو الجانب الآخر من الغرفة، ويلمس شيئًا في الجدار، بحيث انفتح لوح متأرجح نحو الداخل، واختفى أستوك في القبو الأسود خلف اللوح.

تم كل شيء بسرعة مذهلة، بحيث كان يتعذر اعتراض طريقه. انقض كارثوريس بشراسة على خصمه، خشية أن يراوغه فاس كور بالمثل، أو يعود أستوك فورًا مع تعزيزات. وفي لحظة، كانت جثة النبيل الدوساري تتدحرج مقطوعة الرأس على الأرضية الخشبية.

صاح كارثوريس: «هيا! ليس لدينا وقت نضيعه. سيعود أستوك ثانية خلال لحظات مع عدد من المحاربين يكفي لهزيمتي».

على أن تلك الخطة لم تكن في ذهن أستوك؛ فمثل هذه الخطوة ستعني نشر الحقيقة من خلال الثرثرة في القصر بأن أميرة بتارث كانت سجينة في البرج الشرقي. وسرعان ما تصل إلى والده، وعندئذ لن يكفي أي قدر من الكذب في تفسير الوقائع التي يمكن أن يلقي التحقيق الذي سيجريه الجيداك الضوء عليها.

كان أستوك، بالأحرى، يسرع بجنون خلال ممر طويل ليصل إلى باب قاعة البرج قبل أن يترك كارثوريس وثوفيا الشقة. لقد رأى الفتاة تأخذ المفتاح وتضعه في جيب حقيبتها، وكان يعرف أن إدخال سن خنجر في ثقب المفتاح من الجانب الآخر سوف يحبسهم في الغرفة السرية إلى أن تُطوق ثمانية عوالم ميتة شمسًا باردة ميتة.

دخل أستوك، بأقصى سرعة ممكنة، إلى الممر الرئيس الذي يقود إلى قاعة البرج. هل سيصل إلى الباب في الوقت المناسب؟ ماذا إن ظهر الهيليومي بالفعل وهاجمه في الممر؟ شعر أستوك بقشعريرة باردة في عموده الفقري. إنه ليس مستعدًّا لمواجهة ذلك النصل الخارق.

وصل تقريبًا عند الباب، الذي يوجد عند المنعطف التالي في الممر. كلا، لم يغادرا الشقة. من الواضح أن فاس كور لا يزال يقاتل الهيليومي!

بالكاد ما تمكن أستوك من كبت ابتسامة على الطريقة الذكية التي احتال بها على النبيل، وتخلص منه في الوقت نفسه. دار الآن عند المنعطف، ووجد نفسه وجهًا لوجه أمام عملاق كستنائي الشعر وأبيض البشرة.

لم ينتظر الزميل ليسأل عن سبب مجيئه؛ بل قفز عليه بسيف طويل،

بحيث كان على أستوك أن يصد عشرات الإصابات الوحشية قبل أن يتمكن من الانسحاب والفرار مرة أخرى في اتجاه الممر.

وبعد لحظات، دخل كارثوريس وثوفيا الممر من الغرفة السرية.

سأل الهيليومي: «حسنًا يا كار كوماك؟».

قال رامي السهام: «من حسن الحظ أنك تركتني هنا، أيها الرجل الأحمر. لقد اعترضت الآن شخصًا بدا شديد الحرص على الوصول إلى هذا الباب– إنه من يسمونه أستوك، أمير دوسار».

ابتسم كارثوريس.

وسأل: «أين هو الآن؟».

أجاب كار كوماك: «لقد هرب أمام نصلي، وركض في اتجاه هذا الممر».

صاح كارثوريس: «يجب ألا نضيع أي وقت إذنْ! فسوف يستدعي الحرس الآن لمهاجمتنا!».

أسرع الثلاثة على طول الممرات المتعرجة التي اقتفى خلالها كارثوريس وكار كوماك أثر الدوساري بواسطة علامات صندله فوق طبقة التراب رقيقة التي تنتشر في أنحاء طوابق تلك الممرات التي نادرًا ما تُستخدَم.

وصلوا إلى الغرفة التي تقع عند مداخل المصاعد دون أن يواجهوا أي معارضة. وجدوا في الغرفة حفنة من الحرس وضابطًا. وعندما رأى الضابط أنهم غرباء، سألهم عن سبب وجودهم في قصر أستوك.

اضطر كارثوريس وكار كوماك إلى اللجوء إلى سيوفهم ثانية. وقبل أن يصلوا إلى أحد المصاعد، كان ضجيج النزاع قد أثار القصر بأكمله؛ فقد سمعوا رجالًا يصيحون. وخلال مرورهم بالعديد من المستويات في طريقهم السريع لمنصة الهبوط، رأوا رجالًا مسلحين يركضون هنا وهناك بحثًا عن سبب الفوضى.

كانت الطائرة ثوريا تقف بجانب المنصة، وفي حراستها ثلاثة محاربين. قاتل الهيليومي واللوثاري مرة أخرى جنبًا إلى جنب، وسرعان ما انتهت المعركة؛ إذ كان أمير هيليوم بمفرده يناظر أي ثلاثة يمكن أن تجلبهم دوسار.

ارتفعت الطائرة ثوريا قبل أن يقفز مائة مقاتل أو أكثر نحو منصة الهبوط، وكان أستوك على رأسهم. وعندما رأى أن الاثنين اللذين كان يعتقد أنهما تحت سلطته بأمان ينزلقان من قبضته، أخذ يتحرك واثبًا في غضب وكدر، ويهز قبضته، ويقذفهم بالسباب والإهانات الخسيسة.

انطلقت ثوريا كنيزك في السماء، ومقدمتها تميل إلى أعلى بزاوية دائرية. وانطلقت وراءها عشرات من زوارق الدورية السريعة؛ ذلك أن المشهد الذي حدث عند منصة الهبوط فوق قصر أمير دوسار لم يمر دون أن يلاحظه أحد.

خدشت عشرات الطلقات جانب ثوريا. ونظرًا لعدم استطاعة كارثوريس ترك أذرع التحكم، تولت ثوفيا تحويل فوهات المدافع سريعة الطلقات على الطائرة في اتجاه العدو، متشبثة بسطح الطائرة المنحدر الزلق.

كان سباقًا نبيلًا وقتالًا نبيلًا. والآن، واحد ضد مجموعة؛ فقد انضمت طائرة دوسارية أخرى إلى المطاردة. لكن أستوك، أمير دوسار، قد بنى الطائرة ثوريا بشكل جيد؛ ولا يوجد في سلاح بحرية والده مَن يمتلك طائرة أسرع؛ ولا توجد أي طائرة أخرى مدرعة أو مسلحة جيدًا مثلها.

أخذ المطاردون يبتعدون واحدًا تلو الآخر، وعندما أصبح آخرهم خارج النطاق، قام كارثوريس بتحويل مقدمة ثوريا إلى مستوى أفقي. وعند جذب الذراع إلى نهايته، انطلقت الطائرة عبر الهواء الرقيق لكوكب المريخ الآخذ في الاحتضار، متجهة نحو الشرق وبتارث.

تقع بتارث على مسافة ثلاثة عشر ألف هاد ونصف، رحلة طويلة تقطعها أسرع طائرة في ثلاثين ساعة. وقد تقع نصف بحرية دوسار بين دوسار وبتارث؛ ففي هذا الاتجاه يكمن موقع المعركة البحرية الكبرى، التي سمعوا عنها، بل ربما بدأت الآن بالفعل.

لو كان كارثوريس يعرف بدقة موقع الأساطيل الكبرى للأمم المتنازعة، كان سارع في اتجاههم دون إبطاء؛ ففي عودة ثوفيا إلى والدها يكمن أكبر أمل للسلام.

قطعوا نصف المسافة دون رؤية أي سفينة حربية، ثم لفت كار كوماك انتباه كارثوريس نحو سفينة بعيدة تقف على الغطاء النباتي لقاع البحر الميت الكبير، الذي كانت ثوريا تسرع أعلاه.

كان يمكن رؤية العديد من الأشخاص يحتشدون حول السفينة.

تمكن كارثوريس، بالاستعانة بعدسات قوية، من رؤية أنهم من المحاربين الخُضر، وأنهم كانوا يهاجمون مرارًا وتكرارًا طاقم السفينة الرئيسة، التي لم يتمكن من معرفة جنسيتها لبُعد المسافة.

لم يكن من الضروري تغيير مسار ثوريا من أجل الطيران مباشرة فوق مسرح تلك المعركة، لكن كارثوريس هبط بالطائرة لبضع مئات من الأمتار ليتمكن من الرؤية عن قرب بشكل أفضل.

إذا كانت السفينة تنتمي لقوة صديقة، لا يملك إلا أن يقف ويوجه مدافعه نحو أعدائها، على الرغم من أن وجود ثوفيا معه كان يشعره بأنه ما من تبرير للهبوط؛ لأنه لا يملك سوى سيفه وسيف زميله، وهذا لا يكفي لتبرير تعريض سلامة أميرة بتارث للخطر.

وعند اقترابهم فوق السفينة المنكوبة، أدركوا أنها مجرد دقائق قبل أن يصل الحشد الأخضر إلى الجوانب المدرعة للسفينة ويصبون على المدافعين ضراوة شهوتهم لسفك الدماء.

قال كارثوريس لثوفيا: «من غير المجدي أن نهبط. ربما تنتمي السفينة إلى دوسار، إذ لا تظهر عليها أي شارات. كل ما يمكننا القيام به هو إطلاق النار على هذه الجحافل»، ثم صعد إلى أحد المدافع وأدار فوهته نحو المحاربين الخُضر عند جانب السفينة.

عند أول طلقة، اكتشف أولئك على السفينة أدناه وجود ثوريا فوقهم. وعلى الفور، رفرفت راية من مقدمة السفينة الحربية على الأرض. حبست ثوفيا أنفاسها بسرعة، وهي تنظر إلى كارثوريس.

كانت راية كولان تيث، جيداك كاول، الرجل الذي أميرة بتارث خطيبته!

كم كان يسيرًا أن يمضي الهيليومي في طريقه، تاركًا منافسه للمصير الذي لا يمكن أن يتجنبه لفترة طويلة! لن يتهمه أحد بالجبن أو الغدر؛ ذلك أن كولان تيث في معركة ضد هيليوم، وعلاوة على ذلك، لا يوجد على ثوريا ما يكفي من سيوف لتأخير، ولو مؤقتًا، النتيجة المحسومة مسبقًا في أذهان المراقبين.

ماذا سيفعل كارثوريس، أمير هيليوم؟

ما إن انطلقت الراية في النسيم الخفيف، حتى كانت مقدمة ثوريا تتجه بزاوية حادة نحو الأرض.

سأل كارثوريس ثوفيا: «هل يمكنك تشغيل الطائرة؟».

أومأت الفتاة.

تابع قائلًا: «سأحاول جلب الناجين إلى متن ثوريا، ويتطلب الأمر استعانتي بكار كوماك لتشغيل المدافع بينما يحاول الكاوليون الصعود إلى ثوريا. حافظي على مقدمة الطائرة منخفضة ضد اتجاه نيران المدفعية. هذا سيجعل مدرعاتها الأمامية تحملها بشكل أفضل، وفي الوقت نفسه يحمي مراوحها».

هُرع إلى المقصورة، بمجرد أن تولت ثوفيا زمام الأمور على الطائرة. وفي لحظات، تم إسقاط حبال الصعود من عارضة ثوريا، ومن عشرات النقاط على جانبيها- صفوف من حبال جلدية معقودة تتدلى

إلى أسفل. وفي الوقت نفسه، صدرت إشارة من مقدمتها:

«استعدوا للصعود».

تعالى الهتاف من على ظهر سفينة كاول الحربية. ابتسم كارثوريس بحزن، حيث كان قد عاد من المقصورة في ذلك الوقت. كان على وشك أن ينتزع من بين فكي الموت الرجل الذي يقف بينه وبين المرأة التي يحبها.

قال لرامي السهام: «خذ المدفع الجانبي يا كار كوماك كار»، وذهب إلى المدفع القائم عند الميمنة.

يشعرون الآن بالصدمة الحادة الناتجة عن انفجارات مقذوفات المحاربين الخُضر ضد جانبي ثوريا المدرعين.

كان أمل بائس في أحسن الأحوال. وفي أي لحظة، يمكن أن تخترق الطلقات خزانات الأشعة الطاردة. كان الرجال على سطح سفينة كاول يقاتلون بأمل متجدد. وقف كولان تيث في مقدمة السفينة؛ قائد شجاع يقاتل بجانب محاربيه الشجعان، ويصد ضربات الرجال الخُضر الشرسين.

انخفضت الطائرة ثوريا فوق السفينة الأخرى. كان الكاوليون يتجمعون بقيادة ضباطهم استعدادًا للصعود إلى الطائرة، عندما انطلق فجأة وابل شرس من الموت والدمار من بنادق المحاربين الخُضر في اتجاه جانب الطائرة الشجاعة.

هوت الطائرة فجأة كطائر جريح يترنح، في اتجاه سطح المريخ.

أدارت ثوفيا مقدمة الطائرة إلى أعلى في محاولة لتفادي مأساة وشيكة، لكنها نجحت فقط في تخفيف تأثير اصطدام الطائرة وهي ترتطم بالأرض إلى جوار سفينة كاول.

عندما رأي الرجال الخُضر أن سطح الطائرة ثوريا لا يضم سوى اثنين من المحاربين وامرأة، انطلقت صيحة انتصار وحشية بين صفوفهم، بينما صدرت تأوهات من شفاه الكوليين.

تركز انتباه الخُضر الآن على القادمين الجدد؛ إذ رأوا أنهم يستطيعون التغلب على دفاعات الطائرة بسرعة، ومن سطحها يمكنهم السيطرة على سطح السفينة المأهولة بعدد أكبر من الرجال.

وعندما بدأوا هجومهم، أطلق كولان تيث صيحة تحذير من جسر سفينته، مع إشادة بشجاعة التصرف الذي وضع الطائرة الصغيرة في هذا الموقف الحرج.

صاح: «مَن ذا الذي يقدم حياته في خدمة كولان تيث؟ لم تشهد برسوم من قبل مثل هذا العمل النبيل من التضحية بالنفس!».

هرولت الجحافل الخضراء نحو جانب ثوريا، في حين انطلقت من مقدمة الطائرة راية كارثوريس، أمير هيليوم، ردًّا على سؤال جيداك كاول. لم تتوفر أي فرصة أمام ركاب الطائرة الصغيرة لملاحظة أثر هذا الإعلان عند الكاوليين؛ فقد انصب الآن على ما يحدث على سطح طائرتهم.

كان كار كوماك يقف خاف المدفع الذي يتولى تشغيله، ويحدق

بأعين متسعة في المحاربين الخُضر المندفعين بشراسة. وعندما رآه كارثوريس بهذا الشكل، شعر ببعض الأسف لأن هذا الرجل الذي اعتقد أنه شجاع، قد أثبت أنه في ساعة الضرورة ضعيف الشخصية مثل جاف أو تاريو.

صاح: «كار كوماك، يا رجل! تماسك! تذكر أيام مجد بحارة لوثار. لنقاتل! لنقاتل، يا رجل! لنقاتل كما لم يقاتل رجل من قبل. كل ما تبقى لنا هو أن نموت ونحن نقاتل».

نظر كار كوماك نحو الهيليومي، وعلى شفتيه ابتسامة قاتمة.

وتساءل: «لماذا يجب أن نقاتل هؤلاء الغرباء المخيفين؟ هناك طريقة أخرى، طريقة أفضل. انظر!»، وأشار نحو الرفاق الذين يتحركون أسفل الطائرة.

كانت حفنة من الرجال الخُضر قد وصلت بالفعل إلى سطح الطائرة ثوريا، بينما كان كارثوريس يحدق في الاتجاه الذي أشار إليه اللوثاري. المشهد الذي رآه جعل قلبه يخفق في فرحة وارتياح- أيمكن إنقاذ ثوفيا البتارثية؟ زأر تيار متدفق من الرماة العمالقة، يبدو عليهم التجهم والفظاعة. ليسوا الرماة الذين يستدعيهم تاريو أو جاف، وإنما الرماة الذين استدعاهم أودوار الرماة- إنهم مقاتلون وحشيون، يتوقون إلى المعركة.

توقف المحاربون الخُضر في ذهول ورعب، ولكن للحظة فقط؛ ثم انطلقوا وهم يطلقون صيحات الحرب البشعة، لمواجهة هؤلاء الأعداء الجدد الغرباء.

أوقفهم وابل من السهام. وفي لحظة، كان المحاربون الخُضر فقط على سطح السفينة ثوريا قتلى، ثم قفز الرماة بأمر من كار كوماك على جانبي السفينة لمهاجمة الجحافل الخضراء التي على الأرض.

هبط أوتان بعد أوتان من داخل ثوريا لمهاجمة الرجال الخُضر البائسين. وقف كولان تيث والكاوليون في صمت وبأعين متسعة بدهشة وهم يشاهدون الآلاف من هؤلاء المحاربين الغرباء الشرسين، ينطلقون من السفينة الصغيرة التي لا يمكن أن تتسع لأكثر من خمسين شخصًا.

وأخيرًا، لم يعُد الرجال الخُضر قادرين على الصمود أمام هجمة تلك الأعداد الهائلة من الرماة. تراجعوا ببطء، في البداية، نحو السهل الأصفر، لكن الرماة طاردوهم. وكان كار كوماك يهتز من الإثارة، وهو واقف على سطح السفينة ثوريا.

أطلق، بملء رئتيه، صرخة الحرب الوحشية لعصره المنسي. صاح لتشجيع الأوتان وإصدار أوامر القتال. وعندما شاهد هجماتهم تتزايد من ثوريا، لم يستطع مقاومة إغراء المعركة.

قفز من جانب السفينة على الأرض، وانضم إلى آخر مجموعة رماة تتسابق فوق قاع البحر الميت لمطاردة الجحافل الخضراء الهاربة.

كان الرجال الخُضر يختفون في اتجاه الغرب، وراء نتوء كان في يوم ما جزيرة، وركض في أعقابهم رماة أسطول سابق عتيق. وكان كارثوريس وثوفيا يشاهدان كار كوماك الجبار يركض بينهم وهو يلوح عاليًا بالسيف التوركواسي القصير الذي تسلح به، ويحث مخلوقاته لمطاردة العدو المتقهقر.

وعندما اختفى آخرهم خلف النتوء، استدار كارثوريس نحو ثوفيا البتارثية.

وقال: «لقد علموني درسًا، هؤلاء الرماة اللوثاريون المتلاشون. عندما ينهون مهمتهم، لا يُحرِجون قادتهم بوجودهم. كولان تيث والمحاربون هنا لحمايتك. وقد أثبتت أفعالي صدق غرضي. وداعا»، ثم ركع أمام قدميها ورفع جزءًا قليلًا من عتادها إلى شفتيه.

مدت الفتاة يدها، ووضعتها على شعره الأسود الكثيف فوق رأسه المحني أمامها، وسألته بنعومة:

«إلى أين تذهب يا كارثوريس؟».

أجاب: «مع كار كوماك، رامي السهام، حيث أجد القتال والنسيان».

وضعت الفتاة يديها أمام عينيها، كأنما تُبعد إغراء قويًا عن بصرها.

قالت: «ليرحمني أجدادي، إذا قلت الشيء الذي لا يحق لي قوله؛ لكني لا أستطيع أن أراك تهدر حياتك يا كارثوريس، أمير هيليوم! عليك أن تبقى يا قائدي. عليك البقاء... أنا أحبك!».

استدار الاثنان عند سماعهما سعالًا في خلفهما، وشاهدا كولان تيث، جيداك كاول واقفًا على مسافة خطوتين منهما.

صمت ثلاثتهم لعدة لحظات. ثم بدأ كولان تيث يتحدث.

قال: «لم أستطع إلا أن أسمع كل ما قيل. وأنا لست بأحمق كي أتغافل عن حبكما. كما أنني لست بأعمى كي لا أرى الشرف النبيل الذي جعلك يا كارثوريس تخاطر بحياتك وحياتها لإنقاذي، على

الرغم من معرفتك أن تصرفك هذا سوف يسلبك فرصة الاحتفاظ بها لنفسك».

«كما لا يمكن أن يفوتني تقدير فضيلتك يا ثوفيا، التي أبقت شفتيكِ صامتتين أمام كلمات الحب لهذا الهيليومي، فأنا أعرف أن ما سمعتِه كان أول إعلان عن عاطفتكِ تجاهه. بل كنت لأدينكِ بالأحرى إذا تزوجتِني دون حب».

ثم أنهى حديثه قائلًا: «أعطيكِ حريتكِ يا ثوفيا البتارثية، وامنحيها للمكان الذي يقع فيه قلبكِ الـمُقيد. وعندما تلتف الأطواق الذهبية حول عنقيكما، سترين أن كولان تيث هو أول سيف يرتفع إعلانًا عن الصداقة الأبدية لأميرة هيليوم الجديدة وزوجها الملكي!».



ثوفيا فتاة المريخ

كثيرون يعرفون الأديب الأمريكي إدجار رايس بوروز بأنه مؤلف طرزان، تلك الشخصية التي اشتهرت في العالم كله، وتم تمثيلها العديد من المرات.

وها نحن نقدم للقارئ العربي واحدةً من أجمل ما كتب بوروز، إنها سلسلة برسوم، ولقد حققت هذه السلسلة شهرةً كبيرة لبوروز، وجعلته نجمًا لامعًا، وبيع منها ملايين النسخ، وتُرجمت لأكثر من 40 لغةً.

هنا سيصادف القارئ الفانتازيا والخيال العلمي في شكل مغامراتٍ تجري على كوكب المريخ. سيجد الإثارة والتشويق، وسلاسةً في تلاحق الأحداث. إن هذه السلسلة جديرة بالاقتناء والقراءة.

